


# من الهرطقة إلى الأصولية

## قراءة في فكر (جورج طرابيشي) في كتابه "من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث"

كتبه

أ.د. علي بن إبراهيم العجين







رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

# من الهرطقة إلى الأصولية

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

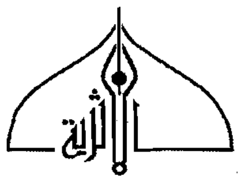
المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٨/١١/٥٦٦٠)

٢٤٠
عجين، علي إبراهيم.
من الهرطقة إلى الأصولية- قراءة في فكر جورج طرابيشي في كتابه «من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث»
علي إبراهيم عجين.
عمان- الدار الأثرية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٨.
( ) ص
ر.إ : ٢٠١٨/١١/٥٦٦٠.
**الواصفات: علم الكلام/ الفلسفة الإسلامية/ الإسلام/ الحديث الشريف**

* يتحمل المؤلف كافة المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه، ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN ٩٧٨-٩٩٥٧-٥٥٤-٣٠-٩ ردمك:






للطباعة والنشر والتوزيع
Telfax: +962 6 5658045
Mob. : +962 79 5943456
P.O.Box. 925595 Amman - Jordan
E-mail: alatharya1423@yahoo.com

# من الهرطقة إلى الأصولية

## قراءة في فكر (جورج طرابيشي) في كتابه "من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث"

كتبه
أ.د. علي بن إبراهيم العجين




للطباعة والنشر والتوزيع



# المحتويات

# المقدمة

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

والصلاة والسلام على النبي الأمي الأمي المبعوث للناس جميعًا؛ عربهم وعجمهم، مشركهم وكتابيهم، أبيضهم وأسودهم.

وبعد..

فرحلتي مع كتاب «**من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**» للأستاذ **جورج طرابيشي** رحلة فكرية عميقة، اطلعت فيها على شخصية حداثوية كبيرة، وتعلمت منه الكثير الكثير، فالقوم يستثمرون أوقاتهم تحقيقًا لأهدافهم، ويخلصون أشد الإخلاص لفكرهم، فكتاب«**من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**» أمضى صاحبه أكثر من ست سنوات في تأليفه، وزاد حجمه عن ستمائة صفحة، وجلد المؤلف على التنقير والبحث لا تخفى، وسعة اطلاعه على كتب التراث الإسلامي ظاهرة، وقدرته على التحليل والتفكيك لترويج فكره بينة، فإذا كان أهل الحداثة بهذه الصفات، فالأجدر بنا أن نتصف بها؛ لنتمكن من نشر قيم ديننا، وتعليم الناس نور الكتاب والسنة، ورد الباطل في نحره.

## قصتي مع الكتاب:

في عام (٢٠١٣م) وتحديدًا في رمضان، وأثناء دعوتي لإلقاء محاضرة عامة في مديرية أوقاف الزرقاء، وبحضور أحد المسؤولين الذي كان يحمل كتابًا كبير الحجم، قال لي بلغة التحدي: هل رأيت هذا الكتاب؟ فنظرت نظرة خاطفة على العنوان «**من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**»، ثم نظرت إلى اسم المؤلف؛ فإذا به **جورج**، فقلت في نفسي: وماذا عسى أن يكتب **جورج** عن الإسلام!! لكن ذلك المسؤول قال مادحًا الكتاب ومؤلفه: المؤلف يفهم في الإسلام أكثر من كثير من الشيوخ، وأتحدى أولائك الشيوخ في الرد عليه!! لكن انشغالي بالمحاضرة كان مسيطرًا على تفكيري؛ فلذلك لم أدخل في جدال مع ذلك المسؤول؛ ولا سيما أنني لم أقرأ الكتاب وأجهل المؤلف.

وفي عام (٢٠١٥ م) قمت بتدريس مادة (دراسات معاصرة في السنة النبوية) لمرحلة الماجستير في قسم أصول الدين في جامعة آل البيت، فتذكرت ذلك الحوار، فطلبت من الطلاب الاطلاع على الكتاب وكتابة تقرير عنه، وبدأت بقراءة الكتاب، فكانت الصدمة! **فجورج** ليس كأي جورج، فأنت أمام كاتب عميق الفكر، واسع الاطلاع، سلس الأسلوب، قوي العبارة، وفعلًا يعرف عن الإسلام، فعذرت ذلك المسؤول الذي تأثر بالكتاب، وانتابني شعور بالهيبة من الكاتب في قراءتي الأولى، فجورج طرابيشي ليس كاتبًا فحسب؛ فهو ناقد فلسفي وأديب ومترجم ومفكر ومحلل نفسي،

وقبل ذلك يسحرك بأسلوبه وصبره على البحث والتنقيب، فقلت في نفسي: أي ورطة أوقعت نفسك فيها!!

فبدأت بتتبع سيرة الأستاذ جورج طرابيشي، فإذا به قامة فكرية حداثية، بل هو كبيرهم ومنظرهم الأول، وكيف لا يكون وله من المؤلفات والكتب المترجمة ما لا يحصى، فإذا مؤشر الخوف يرتفع، ومعدل الهيبة يزداد!!

فقررت قراءة الكتاب قراءة ثانية وثالثة؛ لعلي أظفر بسقطة أو هفوة من هنا أو هناك، وإذا بجدار هيبة طرابيشي يتحطم شيئًا فشيئًا! فوراء هذا الأسلوب تناقضات وتناقضات، وسقطات تاريخية ومعرفية! وإذا القرآنية التي يتستر بها الأستاذ طرابيشي خدعة كبيرة لتمرير حداثته وأصوليته، أو قل: أصوليته وحداثته، وإذا به أول ما يخالف ويعارض القرآن الكريم الذي جعله عنوانًا لكتابه، ومما ساعدني على ذلك: اتباع ذات أسلوب التحليل النفسي الذي أتقن طرابيشي استعماله على خصومه، بل وذات الأسلوب الأدبي الذي تعلمته من طرابيشي.

وقررت قراءة كثيرًا من كتب طرابيشي لأفهم طرابيشي، ولله الحمد فهمت طرابيشي فكريًّا ونفسيًّا ودينيًّا، وإذا بخوفي منه يتحول لإصرار على المواجهة لدرجة التحدي، فطرابيشي يضرب بقوة في مرجعيات الإسلام: القرآن والسنة، وعلماء الأمة، ويهدم الدين باسم القرآن، وينفي عموم الرسالة الإسلامية لجميع البشرية.

أما السنة النبوية؛ فهي الكذبة الكبرى التي اخترعها علماء الأمة بشتى مذاهبهم، وأهل الحديث قاموا بانقلاب معرفي على القرآنيين الخلص، وكل ذلك بأسلوب أدبي رفيع، وبتقية القرآنية وبأدوات حداثوية، فعرفت لماذا انخدعت بعض النخب به، وأصبحت كتبه مرجعية أساسية لهم، فكيف بعامة الناس.؟!!

فاستخرت الله ﷻ في الرد عليه؛ فجاء هذا الكتاب «**من الهرطقة إلى الأصولية**»، **فجورج طرابيشي الذي هرطق وهرطق** عبر رحلته الفكرية ينقلب على نفسه في سلسلة من الانقلابات الفكرية، ولكنه انقلاب بأثر رجعي نحو الأصولية.

**شكرًا طرابيشي:**

وبعد هذه الرحلة مع الراحل طرابيشي؛ أقدم له الشكر الجزيل، فبعد فضل الله ﷻ، كان الرجل سببًا في تعمقي في الفكر الحداثوي، ومعرفة أساليب الحداثويين العرب، فربما كنا نسمع عنهم أكثر مما نقرأ لهم، فهذه دعوة للباحث المسلم أن يقرأ كثيرًا عن القوم من كتبهم ومن مقالاتهم.

كما لا أخفي إعجابي الشديد بجزالة أسلوب طرابيشي، ومحاولتي مجاراته بعباراته ليكون الرد أكثر إقناعًا، والشكر لطرابيشي الناقد الفلسفي الذي كان سببًا بعد الله ﷻ لدخولي عالم الفلسفة؛ بقراءة كتب الفلاسفة القديمة والحديثة، لأتمكن من فهم عبارات طرابيشي وتفكيكها، وله الشكر حيث علمني التحليل النفسي الذي أتقنه.

**السيرة الذاتية للأستاذ جورج طرابيشي:**

الأستاذ جورج طرابيشي، (١٩٣٩-٢٠١٦م)، مفكر ومترجم سوري، ولد بمدينة حلب، حصل على الليسانس في اللغة العربية، ثم على درجة الماجستير في التربية من جامعة دمشق.

عمل مديرًا لإذاعة دمشق (١٩٦٣-١٩٦٤)، ورئيسًا لتحرير مجلة «دراسات عربية» (١٩٧٢-١٩٨٤)، ورئيس تحرير بمجلة «الوحدة» (١٩٨٤-١٩٨٩).

ويتميز الإنتاج الفكري لجورج طرابيشي بتعدد الاتجاهات ما بين الترجمة لفرويد وهيجل وسارتر وبرهييه وجارودي وآخرين، والتأليف في فكر النهضة العربية والنقد الأدبي للرواية العربية، طبق أدوات التحليل النفسي على نقد الرواية، وعلى نقد الثقافة العربية، اتجه إلى البحث في التراث، وأنتج موسوعته «نقد نقد العقل العربي»؛ التي احتوت على قراءة ومراجعة لكل من التراث اليوناني والأوروبي الفلسفي، وللتراث العربي الإسلامي الفلسفي والكلامي والفقهي"[1].

ويصف طرابيشي المراحل الفكرية التي مر بها بقوله: "أعتقد أن مسيرتي الشخصية تعكس مسار الجيل نفسه، حيث انتقلت من مذهب إلى آخر تبعًا لتغير المراحل، وتطبيقًا

---

(١) موقع: «فلاسفة العرب»:

http://www.arabphilosophers.com/Arabic/aphilosophers/acontemporary/acontemporary-names/Tarabishi/A_Tarabishil.htm

لمبدأ النقد والنقد الذاتي؛ الذي يعتبر الضامن الأول للاستمرار في الهوية، من خلال التغير والتلاؤم مع الواقع المتغير.

هذه المسيرة من التغيرات المتواصلة لا تعني: إنكار كل ما تم تجاوزه، بل بالعكس، فمن خلال التاريخ والتغير وتصفية الحساب تتم -أيضًا- عملية تراكم وإعادة بناء، ولئن تجاوزت مراحلي القومية والوجودية والماركسية والتحليلية النفسية، فهذا لا يعني: أني لم أحتفظ من هذه المحطات بعناصر ما زالت تلعب دورها في المحصلة النهائية لمسيرتي الفكرية.

وهكذا أستطيع اليوم أن أستفيد من جميع خبراتي السابقة كي أطوّر رؤية مركبة ومعمّقة للواقع الذي نعيشه، والذي يمثل انعطافًا جديدًا في مسيرة العالم العربي؛ من خلال انبثاق ظاهرة الأصولية المنداحة موجتها اليوم، والتي كانت أحد الأسباب الرئيسية في تحولي الفكري من نقد الرواية إلى نقد التراث العربي الإسلامي؛ كما تجلى في مشروع «نقد نقد العقل العربي»؛ الذي أخذ -ولا يزال- بعدًا موسوعيًّا، ما كنت أنا نفسي أتوقعه عندما شرعت به قبل أكثر من (٢٠) عامًا!"[1].

---

(١) حوار مع طرابيشي مع جريدة «الشرق الأوسط»، (الأربعاء ١٣ محرم ١٤٢٩ هـ-٢٣ يناير ٢٠٠٨) العدد (١٠٦٤٨):

http://archive.aawsat.com/details.asp?section=١٩&issueno=١٠٦٤٨&article=٤٥٥٢٦٢&search=%CC%E٦%D١%CC%٢٠%D٨%D١%C٧%C٨

وفي آخر مقال له بعنوان: (ست محطات في حياتي)[1] لخص سيرته الذاتية، قائلًا: "وأنا في رحلة نهاية عمر، وبعد عقود ستة من صحبة القلم الذي آثرته -عدا زوجتي وبناتي- على كل صحبة أخرى؛ أجدني أتوقف أو أعود إلى التوقف عند ست محطات في حياتي، كان لها دور حاسم في أن أكتب كل ما كتبته، وفي تحديد الاتجاه الذي كتبت فيه ما كتبته، وحتى ما ترجمته".

**أما المحطة الأولى**: محطة الردة عن المسيحية؛ حيث يقول: «ومن ذلك اليوم كففت عن أن أكون مسيحيًّا»، بعد ذكره لأحداث أدت إلى تركه للمسيحية.

**وأما محطته الثانية**: بداية دخوله معترك الأحزاب وهو في مرحلة الثانوية؛ فيقول عنها: «وكنت قد بدأت أميل إلى أن أصير حزبيًّا اشتراكيًّا من (حزب البعث)".

ثم ذكر قصته مع أحد أساتذته، وخلص إلى القول: "ابتداء من تلك اللّحظة وعيتُ أن مهمّة كبيرة جدًّا لا تزال تنتظرنا في مجتمعاتنا، وأن القضية ليست قضية: تغيير سياسة ولا وزارة، بل هي أولًا وربما أخيرًا: قضية تغيير على صعيد العقليات".

**والمحطّة الثالثة**: بداية انطلاقته للكتابة؛ بعد حادثة وقعت له عندما سجن كمعارض سياسي في نظام حزب البعث، يقول: "كنت انتميت الى حزب البعث قبل

---

(١) (ست محطات في حياتي)، «الحوار المتمدن»، العدد (٥١٠٦)، (١٧/ ٣/ ٢٠١٦):
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=٥٠٦٩٩٧

استلامه السلطة، ثم استقلت من الحزب بعد سنة من استلامه الحكم لخلافات سياسية وإيديولوجية، ولكن هذه المرة مع رفاق حزبيين مسيحيين.

كانت حادثة لها عمق تغييري كبير في نفسي وفي وعيي ؛إذ كانت سببًا أساسيًّا في تحوّلي إلى كاتب، لأني شعرت أنّ الكتابة هي الطريق الوحيدة الّتي بمستطاعي أن أسلكها لكي أغيّر العقليّة في المجتمع".

**والمحطة الرابعة**: دخول عالم الترجمة من بوابة فرويد، ومنها إلى التحليل النفسي؛ فيقول: "وبعد مرحلة القومية العربية والبعثية واليسارية والماركسية؛ جاء دور فرويد"، "ولقد ترجمت لفرويد نحوًا من ثلاثين كتابًا".

**ولعل المحطة الخامسة**: أهم محطات طرابيشي، وهي: محطة نقد النقد ومشروعه في الرد على الراحل محمد عابد الجابري؛ حيث يقول: "الّذي كرست له ربع قرن من عمري".

**والمحطة السادسة الأخيرة**: مرحلة التوقف عن الكتابة بسبب أحداث سوريا؛ بعد ما يسمى: (الربيع العربي!)، ويصفها قائلًا: "إن المحطات الخمس التي تقدّم بي الكلام عنها كانت كلها بمثابة محطات انطلاق، وبدءًا منها كتبت كل ما كتبته على امتداد حياتي من أبحاث ومقالات قاربت في عددها الخمسمائة، ومؤلفات نافت على الثلاثين، وترجمات زادت على المئة.

لكن المحطة السادسة كانت بالمقابل هي: محطة التوقف والصمت والشلل التام عن الكتابة: محطة الألم السوري المتواصل منذ نحو أربع سنوات؛ بدون أن يلوح في الأفق أي بشير بنهاية له".

**وصف كتاب «من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث»:**

لمعرفة كتاب «**من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**» سنحاول الإجابة على التساؤل الآتي: هل يعد الكتاب ضمن مشروع طرابيشي النقدي «نقد النقد»؛ الذي رد فيه على الأستاذ الراحل محمد عابد الجابري؟ أم أن الكتاب مشروع مستقل بحد ذاته؟!

وللجواب عن هذا التساؤل؛ نعود لصاحب المشروع ذاته في خاتمة كتاب «**من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**»؛ فيقول: "كان يفترض بهذا الكتاب -عندما شرعنا بالعمل فيه قبل ست سنوات- أن يكون الجزء الخامس والأخير من مشروع (نقد نقد العقل العربي)، في الرد على مؤلف تكوين العقل العربي وبنية العقل العربي.

ولكن طردًا مع تقدمنا في العمل، ثم عندما انتهينا من إنجاز هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ؛ لم نجد مناصًا من التسليم بأن محمد عابد الجابري لم يكن له حضور فيه إلا على نحو عارض، وليس في الأمر من عجب"[(١)].

---

(١) طرابيشي: جورج طرابيشي، «من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث»، دار الساقي- بيروت =

ثم علّل هذا الحضور العارض للراحل الجابري؛ بقوله: "ذلك أن صاحب مشروع (نقد العقل العربي) ما كان وجد من تعليل لظاهرة استقالة العقل في الإسلام سوى الغزو الخارجي..."[١]، ويقول: "وبالمقابل؛ امتنع الجابري امتناعًا شبه تام عن تفكيك آليات أفول هذا العقل واستقالته من داخله، ومن هنا وجدنا نفسنا نتصرف على مدار صفحات هذا الكتاب إلى بناء إشكاليتنا الخاصة عن استقالة العقل في الإسلام؛ دونما حاجة إلى الدخول في عملية تفكيك لإشكاليات صاغها -أو بالأحرى: امتنع عن صياغتها- صاحب مشروع (نقد العقل العربي).

ومن هنا -أيضًا- أفردنا عملنا هذا كتابًا قائمًا بذاته؛ من دون أن نحتاج إلى أن نُعنونه جزءًا خامسًا"[٢].

نخلص مما سبق: أن رد طرابيشي على الجابري كان سببًا لتأليف كتاب «**من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**»، لكنه تحول إلى مشروع مستقل منفصل عن المشروع الأم (نقد النقد)، فغاب الجابري أو غيبه جورج طرابيشي إلا بحضور عارض -كما وصفه طرابيشي-.

---

= الطبعة الأولى، (٢٠١٠م)، (ص٦٣٥).

(١) جورج طرابيشي، «من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث» (ص٦٣٥).

(٢) المصدر السابق.

ويرى الأستاذ محمد نعيم أنه رغم ادعاء طرابيشي ذلك؛ إلا أن قارئ الكتاب يدرك جيدًا أن محمد عابد الجابري حاضرٌ فيه وبقوة، وأن سعي طرابيشي فيه هو: محاولة إبطال كل ما أثبته الجابري في مشروعه، ومن بعض مظاهر ذلك: أنه خصص جزءًا مهمًّا من هذا الكتاب للتأكيد على أن لا علاقة لابن حزم بالعقلانية التي نسبها إليه الجابري[1].

وإذا تتبعنا تاريخ تأليف كتاب «**من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**» الصادر عام (٢٠١٠م) -هو آخر كتاب ألفه طرابيشي-، وكما صرح طرابيشي أنه شرع فيه قبل ست سنوات من صدوره، وفي مقابلة موقع إسلام «أون لاين» عام (٢٠٠٨م) قال: "فكتابي الجديد الذي أعده يحمل هذا العنوان الكبير، والذي قد يكون فيه قدر من الجرأة، وربما قد يبدو لبعضهم استفزازيًّا سميته: (الله والرسول: الشارع والمشرع له)"[2]، وهذا العنوان القديم للكتاب؛ حيث أصبح الفصل الأول من كتاب «**من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**».

والذي أراه: أن كتاب «**من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**» وإن كان وليدًا

---

(١) (حقيقة إخوان الصفا بين محمد عابد الجابري وجورج طرابيشي)، (٦ يوليو، ٢٠١٨)، خاص «ثقافات»: http://thaqafat.com/٢٠١٨/٠٧/٨٩٠٢٧

(٢) https://archive.islamonline.net/?p=٦٣١٩

لمشروع (نقد النقد) إلا أنه في ذات الوقت يمثل عملًا يظهر الرؤيا النهائية لفكر جورج طرابيشي، هذا الفكر الذي استبطنه طرابيشي في مشروع (نقد النقد)، خرج بصورته النهائية في كتاب «من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث»، وهو المشروع الأكبر لطرابيشي، وما مشروع (نقد النقد) إلا مرحلة من مراحله.

وهذا المشروع الأكبر ألبسه طرابيشي زي الحداثة؛ ليخفي أصوليته التي أرتد عنها في أول محطات حياته؛ كما سيظهر من فلتات قلمه مصرحًا به في ثنايا كتابه؛ لينفي عموم الرسالة المحمدية لجميع البشرية.

وعند تحليل عنوان الكتاب: «**من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث-النشأة المستأنفة**»؛ نرى أن الأستاذ طرابيشي يتحدث عن مرحلتين من مراحل التاريخ الإسلامي؛ من حيث مصدرية الإسلام، فهناك إسلامان، وتبعًا لذلك فهناك فئتان: أهل القرآن، وأهل الحديث، فالإسلام الأول: الإسلام القرآني، وهو الإسلام الأصلي، وأهله هم: أهل القرآن، وهذا الإسلام لا دور للرسول ﷺ فيه إلا تبليغ الرسالة، ولا دور تشريعي له، بل هو -بحسب تعبير طرابيشي- مكفوف اليد -وحاشاه!- عن التشريع، فلذلك عنون للفصل الأول: (**الله والرسول: الشارع والمشرَّع له**)، ثم يعنون الفصل الثاني بعنوان: (**من النبي الأمي إلى النبي الأممي**)، فنتيجة للانقلاب في دور الرسول ﷺ تم تحويل الرسالة من رسالة خاصة بالأميين العرب إلى رسالة

لجميع الأمم.

ولتوضيح ذلك؛ يسافر بنا الأستاذ طرابيشي في رحلة تاريخية جغرافية في الفكر الإسلامي الذي منح النبي ﷺ مقام التشريع؛ من خلال السنة النبوية، فتحول الإسلام من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث، عن طريق أهل الحديث عبر تطورات تاريخية تأثرت بها جميع المذاهب الإسلامية، فيعنون في الفصل الثالث: (**مالك بن أنس: هامش من الحرية**)، يعني: محاولة انعتاق الإمام مالك ﵀ من النص الحديثي، لكن سطوة المحدثين كانت هي الأقوى؛ فتأثر السادة المالكية -بزعم طرابيشي!- بانقلاب المحدثين.

وأطول فصول الكتاب كان: الفصل الرابع: (**الشافعي: تكريس السنة**)، ولا عجب في ذلك؛ فالشافعي ﵀ هو قائد الانقلاب الأول الذي كرس دور السنة في حياة المسلمين؛ عندما جعلها وحيًا موازيًا لوحي القرآن الكريم.

ويأتي الفصل الخامس -على استحياء!- بعنوان: (**أبو حنيفة.. من الرأي إلى الحديث**)؛ ليظهر تأثر السادة الحنفية بمؤامرة المحدثين؛ حتى حولوا إمامهم الأعظم ﵀ من القرآن للحديث، مجاراة للمحدثين.

ثم يتجه طرابيشي نحو الغرب، لتكريس الانقلاب على يد الإمام ابن حزم الظاهري ﵀، فيعنون: (**ابن حزم: وثنية النص**).

وتأكيدًا على نصية الفكر الإسلامي؛ يستعرض طرابيشي في الفصل السابع: **(العقل التخريجي)**، ويعني بذلك: التبريرات التي يقدمها أهل الحديث لتناقضات المرويات؛ سعيًا لإزالة هذا التناقض -بزعم طرابيشي!-، وهذا الانقلاب اختلط فيه الفكر الديني بالسياسي، فجاء الخليفة العباسي المتوكل لينصر هذا الانقلاب، تأييدًا للإمام أحمد ﷺ في محنة خلق القرآن.

فيأتي الفصل الثامن والأخير -كنتيجة لما سبق-: **(انتصار أهل الحديث)**؛ فكانت النتيجة: انتصار الأيديلوجيا الحديثية، وهزيمة العقل، فـ «النشأة المستأنفة بمعنى القطيعة والاستمرارية معًا، يسلط هذا الكتاب ضوءًا باهرًا على عملية إعادة تأسيس الإسلام القرآني في إسلام حديثي، طردًا مع التحول من إسلام الرسالة إلى إسلام التاريخ، ومن إسلام (أم القرى) إلى إسلام الفتوحات»[1].

والحمد لله رب العالمين.

وكتبه: علي بن إبراهيم العجين

في عمّان الخير - مرج الحمام

مساء الاثنين، (٢ محرم الحرام، ١٤٤٠هـ-١١/٩/٢٠١٨م).

---

(١) «من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث»، على الغلاف الخارجي للكتاب.

# الفصل الأول



## طرابيشي..
## السيرة الانقلابية

لما كان التحليل النفسي -كان ولا يزال- بامتياز: منهجًا لكتابة السيرة الذاتية، أو لإعادة قراءتها[١]؛ فسنحاول فهم السيرة الذاتية للأستاذ جورج طرابيشي بهذه المنهجية، فالقارئ لطرابيشي أول ما يستوقفه التقلبات والانقلابات الفكرية التي مر بها! ولعل أجواء الانقلابات السياسية التي عاشها طرابيشي في بلده سوريا كان لها أثر في تشكيل ثقافة الانقلابات الفكرية في شخصيته[٢].

وفي آخر مقال له وصف هذه الانقلابات الفكرية بأنها: محطات في حياته (**ست محطات في حياتي**)، وكل محطة مثلت مرحلة فكرية؛ فمن التدين إلى الهرطقة، ومن مرحلة القومية العربية والبعثية واليسارية والماركسية إلى مرحلة الحداثة والليبرالية، مرورًا بشغفه بالتحليل النفسي لفرويد، وليس انتهاءً بانقلابه على الراحل الجابري.

يقول طرابيشي: "**كثيرًا ما تساءلت: لماذا يغلي في دمي حب الهرطقة؟ فيوم كنت قومي النزعة كنت من أوائل من أدرك أن: القومية العربية إن تكن فاعلة ثقافيًّا فهي عاجزة سياسيًّا، وأن الدولة القُطرية هي بالتالي واقعة نهائية.**

---

(١) كما قال جورج طرابيشي في مقدمته لكتاب «المثقفون العرب والتراث» (التحليل النفسي لعصاب جماعي)، مكتبة رياض الريس-لندن، الطبعة الأولى (١٩٩١م)، (ص٩).

(٢) ضربت سوريا رقمًا قياسيًّا في عدد الانقلابات في فترة زمنية قصيرة منذ (١٩٤٩ إلى ١٩٧٠م).

**ويوم صرت ماركسيًّا تعاملت مع الهامش المركزي أكثر مما مع المتن، ومع نصوص ماركس ولينين المحظورة أكثر بكثير مما تعاملت مع نصوصهما الرسمية.**

**ويوم انتهيت إلى أن أصير ديمقراطيًّا لم أرَ في الديمقراطية أيديولوجيا خلاصية، نظير ما كان فُعِل بعقيدتي الوحدة العربية والاشتراكية..."**[1].

وعلى طريقة طرابيشي الذي أتقن فن التحليل النفسي، ووضع خصومه تحت مجهر فرويد، بل وللأمة العربية بمجملها؛ كما ظهر تحليله النفسي لهزيمة (١٩٦٧)[2]، نرى انعكاس ذلك في أغلب كتاباته؛ فمفردة (**انقلاب**) يتردد صداها إلى حد الهوس، وعقدة الانقلابات ستنعكس على كتاباته ومفرداته النقدية، وإذا أخذنا مثالًا على ذلك في آخر كتاب صدر له «**من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**»، فالعنوان بحد ذاته انقلابي، أما عناوين الانقلابات والتحولات والنكوص؛ فتظهر في أغلب أجزاء الكتاب، فهو يتساءل: **"كيف حدث هذا التحول من الإسلام القرآني إلى الإسلام**

---

(١) طرابيشي: جورج طرابيشي، «هرطقات ٢»، دار الساقي-بيروت، الطبعة الأولى (٢٠٠٨)، (ص ٧).

(٢) انظر: طرابيشي، «المثقفون العرب والتراث» (التحليل النفسي لعصاب جماعي)، مكتبة رياض الريس-لندن، الطبعة الأولى (١٩٩١م).

**السني؟**"(١).

وهكذا ينتقل بك الكتاب من تحول لآخر؛ فيصفه قائلًا: "**ذي خطورة لاهوتية وليس فقط تشريعية، هو ذاك الذي أعطى هذا الكتاب عنوانه: «من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث»**"(٢).

ويمتد التحول للتاريخ والجغرافيا؛ فـ "**التحول التاريخي والجغرافي الكبير من إسلام الرسالة إلى إسلام الفتوحات**"(٣)، ومن ذلك: "**والواقع أن كتب الحديث -وليس في القرآن- تم تحويل النبي الأمي المرسل إلى قومه إلى نبي أممي مرسل إلى الأمم قاطبة**"(٤).

وهذا النص يظهر غائية طرابيشي من تأليف الكتاب: **نفي عموم رسالة النبي ﷺ للإنسانية جميعًا**، فيضع فاصلًا كاملًا بعنوان: (**من النبي الأمي إلى النبي**

---

(١) طرابيشي: جورج طرابيشي، «من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث النشأة المستأنفة»، دار الساقي-بيروت، الطبعة الأولى (٢٠١٠م)، (ص٨٥).

(٢) المصدر السابق، (ص٨٩).

(٣) المصدر السابق، (ص٩٠).

(٤) المصدر السابق، (ص٩٨).

**الأممي)**[١]، وهي قضية مفصلية لاهوتية، لم يستطع المفكر الحداثي الليبرالي أن يغادر الحياة دون أن ينبشها من أعماق ذاته التي انقلب عليها يومًا ما في أول شبابه، وكانت بداية هرطقاته وانقلاباته أو قل: انقلاباته وهرطقاته! فارتد عن دينه ضمن الحلقة الأولى من مسلسل الانقلابات الطرابيشية[٢]، لكن الحلقة الأخيرة من هذا المسلسل مثلت مشهد الانقلاب الأكبر والأخير، **من الهرطقة إلى الأصولية!!!**

إنه انقلاب بأثر رجعي! نسخ جميع الانقلابات السابقة؛ ليظهر لنا طرابيشي في نسخته الأخيرة والمعدّلة والمنقحة: طرابيشي الناسخ والمنسوخ في آن واحد! فما نسخه في أول حركة انقلابية شبابية يعود إليه مرتدًا عن حداثته؛ ليرتد إلى أصوليته في شيخوخته!

فالهرطوقي في هذا الكتاب يهرطق فيما سبق أن هرطقه، وإذا به يخالف القانون الذي أراد أن يبطله وعابه على العائدين والتائبين إلى الصراط المستقيم مع اقتراب لحظة الغيب الكبير، ولكنه عاد لأصوليته الأولى بنكهة حداثوية، من **(مثال العديدين من المرتدين من المفكرين العرب؛ بدءًا بخالد محمد خالد، وانتهاء بعبد الرحمن**

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٨٧).

(٢) وهي المحطة الأولى في حياة طرابيشي؛ حيث قال: "**ومن ذلك اليوم :كففت عن أن أكون مسيحيًا**". انظر: آخر مقال له، طرابيشي، (ست محطات في حياتي)، بتاريخ (٢٣/ ٢/ ٢٠١٥ م)، موقع «الأثير الإلكتروني»: http://www.atheer.om/archives/١١٢٥٧

بدوي"[1].

وإذا عدنا لهوس الانقلاب والانقلابين؛ نرى الإمام الشافعي يمثل أحد زعماء الانقلاب الكبير، والذي سيتلو بيان رقم (١) لزمرة الانقلابيين! والذي سيكتشفه طرابيشي؛ فيقول: "**أفنُغَالِي إذا قلنا: إن الشافعي نفذ انقلابًا حقيقيًّا على الصعيد اللاهوتي والإبتسمولوجي معًا عندما جعل للسنة الرسولية نصابًا إلهيًّا، وبوأها منزلة الأصل مع الكتاب...**"[2].

ويقول عن الشافعي: "**إذا استعرنا لغة الحركات الانقلابية الحديثة، مؤسسًا لـ (جمهورية جديدة)**"[3]، ولا شك أنها استعارة نفسية قبل كونها استعارة لغوية، فحياة طرابيشي كلها انقلابية؛ سيسقطها بحيلة نفسية على خصومه، لكن أعجب ما في هذا الانقلاب المكتَشَف أنه: انقلاب صامت، وليس على طريقة الانقلابات البيضاء أو الدموية.

وهذا الانقلاب -الذي يمثل أخطر انقلاب في بنية العقل المسلم، وفي صميم دينه- لم يكتشفه إلا جورج طرابيشي في الألفية الثالثة!!!

---

(١) طرابيشي: «هرطقات ٢»، دار الساقي-بيروت، الطبعة الأولى، (٢٠٠٨)، (ص٨).

(٢) «من إسلام القرآن» (ص١٩٤).

(٣) المصدر السابق، (ص١٩٥).

ويؤكد دور الريادة للشافعي في العملية الانقلابية: "**ولا يعسر علينا أن ندرك خطورة النتائج المترتبة على هذا الانقلاب -والتعبير لا يبدو لنا مبالغًا فيه-؛ الذي نفذه الشافعي...**"[١]، نعم؛ ليس مبالغًا فيه، فالحركة الانقلابية لازمة من لوازم فكر طرابيشي.

ويتدرج طرابيشي في تفاصيل الحركة الانقلابية؛ ليصل لزعيم تاريخي آخر للانقلابيين: الإمام ابن حزم، "**ولسنا معنيين هنا بالملابسات التاريخية -والجغرافية - التي حكمت على الانقلاب الحزمي بأن يبقى مجرد مشروع محصور تواجده في النصوص**"[٢]، وكخبير بشؤون الانقلابات يصف عملية الانقلاب الحزمي: "**وكما في كل انقلاب؛ كان لا بد لابن حزم من أن ينطلق من نقطة الصفر، ولكن من دون أن يتنكر للاستمرارية التي تربطه -لا محالة- بالمنقلب عليه، ولو من خلال كونها استمرارية ضدية**"[٣]، ويقول: "**فمن خلال الرجوع إلى ما يسميه ابن حزم نفسه: (أوائل العقل)؛ ستتوفر لمشروعه الانقلابي نقطة بداية مطلقة...**

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٢٧٢).

(٢) المصدر السابق، (ص٢٩٥).

(٣) المصدر السابق، (ص٢٩٦).

**سيفي بشرط الاستمرارية الضدية الذي من دونه يكف الانقلاب -وهنا المعرفي- عن أن يكون انقلابًا**"[١]، فهو انقلاب على الانقلاب، وكعادة المنقلبين بتصفية بعضهم البعض مع رفع ذات الشعارات البراقة! فابن حزم ينقلب على الشافعي، "**ومع هذا التحول الخطير من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث تكتمل أبعاد الانقلاب (الظاهري)؛ الذي دشنه الشافعي واستأنفه ابن حزم، فيما يكاد أن يكون انقلابًا على الانقلاب في (نشأة ثانية)**"[٢]، ولو أطلق عليها: الحركة التصحيحية لناسب المشهد!!!

و تمضي لعبة الانقلاب على الانقلاب؛ ليصبح انقلابًا جماعيًّا: "**فمن جراء الانقلاب السني والتأليف الجماعي للمدونة الحديثية...**"[٣]، ولكي تكتمل حلقات الانقلاب الطرابيشي لا بد من صبغه بصبغة شرعية؛ بإشراك الجماهير في تحريكه، والجمهور -هنا- هم: أصحاب البلاد المفتوحة، فلا بد من إنزالهم لميدان التحرير، فالانقلاب بغير العامة لا شرعية له، "**ذلك أنه ما كان لنار النزعة الإثنية الفارسية بأن تخمد تحت رماد الإسلام، فالإسلام الذي حمل إلى أعاجم**

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٢٩٦).

(٢) المصدر السابق، (ص٣٨٧).

(٣) المصدر السابق، (ص٤٧٨- ٤٧٩).

البلدان المفتوحة، وفي مقدمتهم: الفرس؛ كان إسلام قرآن لا يد لهم فيه، وما أنزل أصلًا برسمهم.

وبالمقابل؛ إن الإسلام الذي أعادوا تصديره إلى فاتحهم كان إسلام سنة، كانت لهم اليد الطولى في إنتاجه، وهو الإنتاج الذي استطاعوا أن يؤسسوا أنفسهم من خلال إتقان صناعته"[١].

وتمضي المؤامرة الفارسية العجمية لقلب النظام المعرفي الإسلامي، "والحال -أيضًا-: أن الموالي -أي: الأرقاء المعتوقين من الأعاجم وأحفادهم- كانوا هم -أيضًا- وراء تطوير صناعة الفقه، مثلما كانوا وراء تطوير صناعة الحديث"[٢].

ثم انضم الجميع للحركة الانقلابية: "إن تسييد السنة قد تلاقت فيه مصالح الأوتوقراطية العربية الفاتحة ومصالح النخب والشرائح المثقفة من شعوب البلدان المفتوحة"[٣].

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص١٠٣).

(٢) المصدر السابق، (ص١٠٥).

(٣) المصدر السابق.

لكن طرابيشي لا يمكنه إخفاء غائيته من كتابه: نفي عموم الرسالة المحمدية لجميع البشرية؛ فيعلن سبب التقاء هذه المصالح: "**وعلى هذا النحو فحسب نستطيع أن نفهم تلاقي المصالح بين نخب الفاتحين ونخب البلدان المفتوحة في تأميم الرسول العربي**"(١).

هكذا خرج من رأسه أو من رأس قلمه بصبغة ماركسية: (**تأميم الرسول العربي**)؟! وحاشا المصطفى ﷺ، فالرسول ﷺ -بزعمه!- كان للعرب الأميّين، ولكن مؤامرة الفاتحين والفرس والأعاجم جعلت رسالته لجميع البشرية، وليس كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[الأنبياء:١٠٧].

وهكذا يستمر طرابيشي بلعبة خلط الأوراق؛ فلوثته اللاهوتية لا تفارقه، فيدس بين سطور كتابه تكرار هذه الفرية.

ولكي يكتمل المشهد الانقلابي؛ يرجع طرابيشي للحركة الانقلابية صبغتها السياسية، وهو خبير بها؛ كما أخبرنا في محطته الثالثة من محطاته التقلبية والانقلابية؛ حيث قال: "**كنت انتميت إلى حزب البعث قبل استلامه السلطة، ثم استقلت من الحزب بعد سنة من استلامه الحكم؛ لخلافات سياسية وإيديولوجية ليس**

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص١٠٦).

**المجال هنا للدخول في تفاصيلها**"[١]، فيعنون: **(الانقلاب المتوكلي)**[٢]، فإذا كان العلماء فقهاء ومحدِّثين اختطفوا هذه الحركة الانقلابية؛ فلا بأس من إشراك الساسة في لعبة الانقلابات؛ لتكتمل عناصر الانقلاب كما هو في عالم السياسة، "**وبدوره لم يكن انقلاب المتوكل من الضد إلى الضد، فيما يتعلق بملابسات (محنة القرآن) جميعها: انقلابًا من طبيعة لاهوتية، بل كان انقلابًا سياسيًّا، يضع في اعتباره الأول: مصلحة (الملك الطبيعي)؛ الذي آل إليه على غير ما توقع...**"[٣].

وهكذا يشتبك السياسي بالمعرفي وباللاهوتي، وتكون النتيجة: أيديلوجيا سائدة لمدة عشرة قرون!!! "**ومن هذا المنظور نستطيع أن نقول: إن الانقلاب المتوكلي -كان دون أن يمثل بداية مطلقة- هو المقدمة للانقلاب الأخطر منه؛ بما لا يقاس من زاوية الإبستمولوجيا الدينية، أي: التحول من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث.**

**وتأسيس هذا الأخير في أيديولوجيا سائدة على امتداد تلك القرون العشرة**

---

(١) طرابيشي، (ست محطات في حياتي)، بتاريخ (٢٣/ ٢/ ٢٠١٥ م)، موقع «الأثير الإلكتروني»: http://www.atheer.om/archives/١١٢٥٧

(٢) المصدر السابق، (ص٤٨٣).

(٣) «من إسلام القرآن» (ص٤٨٨).

**الفاصلة بين عصر المتوكل وعصر النهضة...**"[١].

وهكذا استلم المحدِّثون زمام السلطة الدينية: "**أما تسليم سلطة الدين لأهل الحديث في ظل الانقلاب المتوكلي؛ فقد وأَدَ تلك المحاولة الإصلاحية، وقطع الطريق أمام كل احتمال لتجددها...**"[٢].

وهكذا انقلب المحدِّثون على خصومهم المغيَبين في رواية الانقلاب الطرابيشية، وهم: أهل القرآن، فـ (**فليس عجبًا إزاء هذا الحضور الكلي لأهل الحديث ألا يكون قد تبقى من نصاب آخر لأهل القرآن سوى الغياب، وهذا حتى في القرآن نفسه بتأويل أهل الحديث له، فأصحابهم هم وحدهم؛ دون القرآنيين: (حزب الله)**".

نعم؛ هكذا تبين للقارئ من هم المنقَلب عليهم، إنهم: (**القرآنيون**)، وبالإحالة إلى كتاب طرابيشي (**المعجزة**)! تظهر لنا معجزة اصطلاحية، وهي: أن هناك جماعة في التاريخ الإسلامي تسمى: (**القرآنيين**) لم يكتشفها إلا طرابيشي بقوله: "**ورغم محاولات التصدي التي أبداها من سُمّوا في حينه بـ (القرآنيين)؛ فقد اندفع التيار**

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٤٩١).

(٢) المصدر السابق، (ص٤٩٣).

**الجارف لأهل الحديث ليفرض لهم هيمنة شبه مطلقة...**"[١].

فسطوة المحدِّثين غيبت ذكرهم عبر التاريخ إلى زمن المتوكل، فالمحدِّثون يمتلكون كل شيء: المعرفة والسياسة والتاريخ والجغرافيا، وقبل ذلك الإيدلوجيا؛ لدرجة أن خصومهم الذين انقلبوا عليهم لا ذكر لهم في التاريخ؛ إلا في رواية طرابيشي، وهو: الناقد الفلسفي والمحلل التاريخي، وقبل ذلك: المفكر والمنظر، لم يسعفه التاريخ بذكر رواية واحدة صحيحة أو مزيفة، فإذا القرآنيون الحاضرون الغائبون في رواية انقلاب المحدِّثين، وعلى طريقة طرابيشي في ذكر سجل الحضور والغياب؛ نجد أنه نسي أو تناسى ذكر شخصية قرآنية واحدة في مسلسل الانقلابات، فالغائب الأكبر في رواية الانقلاب هم: المنقَلب عليهم، فرهاب المحدِّثين ألجم قلمه حتى أخفاهم لما يقارب من ثلاثة قرون.

وهكذا يظهر أن سطوة علماء الحديث ما زالت قائمة ولم تنته؛ كما ذكر بظهور عصر النهضة، فهم جعلوا الناقد السياسي التاريخي يغفل عن أهم عنصر من عناصر الانقلاب: (**المنقلَب عليهم**)، وهو القائل: "**نحن مطالبون بتبرير تسميتنا له بالانقلاب، الشيء الذي يستتبع أولًا: بيان هوية المنقلب عليه، وذلك بقدر ما**

---

(١) «المعجزة أو سبات العقل المسلم»، دار الساقي- بيروت، الطبعة الأولى، (٢٠٠٨)، (ص١٦٨)، لكن لم يقل لنا طرابيشي من الذي سماهم بهذا المصطلح!!

**يصح القول بأنه لا انقلاب من دون منقَلب عليه**"[١].

فلا نعلم من هم؟ وما شخصياتهم؟ ومتى استلموا السلطة؟ وما شعاراتهم؟ وأخطر ذلك: لا نعلم مصيرهم؟ وإذا كان أحد منهم نجى بعد مذبحة المحدِّثين لهم فأين ذهبوا؟ وأين سجونهم؟ وما هي الدول التي منحتهم حق اللجوء؟ إلا إذا كان في مخيلة طرابيشي أن المحدِّثين استعملوا الأسيد لتذويبهم، ومن ثم اختفى كل شيء!!!

وفي المقابل؛ نجد أن **لوبي المحدِّثين** يظهر من منذ عصر الفتوحات، فيقلب كل شيء، ويضع مخططًا رهيبًا لاستلام السلطة الدينية؛ فيتآمر مع أتباع البلاد المفتوحة، ويشكل معهم حلفًا سريًّا، ولم يكتف بذلك بل يتمدد في السلطة السياسية الأموية والعباسية، وإذا بأبي حنيفة يصمت عن مؤامراتهم، وأما أتباعه فيرفعون راية الاستسلام، وأما مالك بن أنس؛ فاكتشف المؤامرة بهامش من حرية العقل الذي أعمله، ولكنه ما لبث أن أدى فروض الطاعة.

إلا أن العمل السري للوبي المحدِّثين انتقل للعمل العلني؛ فظهر زعيم الانقلاب وقارئ بيانه الأول: **الشافعي**، وسلّم الراية لتلميذه النجيب **ابن حنبل**، وإن كان تلميذه أشد سطوة منه على طريقة الحركات الانقلابية، ولا بأس أن يتمدد اللوبي في الغرب فيظهر **ابن حزم**، ويتم تطويق العالم الإسلامي من كل حدوده؛ حتى لا يفر أحد

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٢٩٦).

من المنقلَب عليهم، وهناك دعاة للانقلابيين: ابن قتيبة والطحاوي وابن شاهين والحازمي وغيرهم، وهكذا تستكمل مسرحية الانقلاب تاريخيًّا وجغرافيًّا وأبطالًا، ولكن أين المنقلب عليهم؟!!

**حركة الضباط الأحرار:**

لقد حاول جورج طرابيشي أن يمارس تنويمًا مغناطيسيًّا على القارئ؛ ليقنعه بواقعية مسرحيته، فأخرج من **اللاتاريخ** شخصيات انقلابية وأحداث انقلابية، فعند حديثه عن غزوة تبوك -أو العسرة- تراه يشير إلى بداية حالة التمرد التي تسبق الحركات الانقلابية، ولأن لاهوت طرابيشي لم يغادره -كما زعم!- في محطته الأولى، وإنما ألبسه ثوبًا جديدًا، ولعلمه كقارئ جيد للتاريخ: أن هذه الغزوة تمثل عالمية الإسلام، ونقلًا للدعوة خارج حدود الجزيرة، وذلك أن الروم وأتباعهم من العرب وقفوا في وجه تبليغ هذه الدعوة؛ فأخذ بنسج خيالات مسرحية الانقلاب؛ فيقول: "**والواقع أن هذا التحول من حرب الأميين** -أي: مشركي العرب- **إلى حرب الكتابيين الروم هو ما يمكن أن يفسر أو -على الأقل يسهم- في تفسير ثاني أكبر أزمة ثقة عصفت بالإسلام الفتي بعد صلح الحديبية، وهي: تلك التي تمثلت بالإضراب عن المشاركة في غزوة تبوك التي كانت فاتحة الحملات على أرض الروم...**"[1].

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٩٤).

فغزوة تبوك تمثل مرحلة التمرد والعصيان المدني؛ التي تسبق حركة الانقلاب الكبرى، وذلك أن هذه الغزوة: "**تميزت أكثر ما تميزت بتخلف المتخلفين، أو المثَّاقلين والقاعدين؛ حسب التعبير القرآني، ويكاد يكون البيان التقريعي -الذي يشغل ثلاث أرباع آيات سورة التوبة المئة والتسع والعشرين- ضد أولئك (الخوالف)، أي: المستنكفين من الصحابيين عن المشاركة في غزوة تبوك، هو: الأعنف في نوعه في كل سور القرآن...**"(١).

إذًا؛ بدأنا باكتشاف خيوط الحركة الانقلابية وجذورها الأولى، إنهم: المنافقون الذين حاول طرابيشي **باستراتيجية خلط الأوراق**: أن يوهم القارئ أنهم الصحابة -رضوان الله عليهم-!! ومن المعلوم الذي لا يخفى على طرابيشي: أن المتخلفين هم أهل النفاق؛ الذين فضحهم الله ﷻ في سورة التوبة، قال ﷻ: ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾[التوبة:٨٧]، أما المؤمنون الصادقون؛ فقال عنهم: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾[التوبة:٨٨-٨٩].

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٩٤).

وذلك: أن الصحابة الذين تخلفوا تاب الله عليهم بصدقهم، لكن ما يفيدنا أن طرابيشي يجعلهم قادة الحركة الانقلابية الأولى، فإذا بطرابيشي الذي كان **قرآنيًا** قبل صفحات يخالف القرآن الكريم عن سبق إصرار، فإن كان صادقًا في قرآنيته فلماذا يثني الله ﷻ على أهل هذه الغزوة، قال ﷻ: ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾[التوبة:١١٧].

وهل حركة التمرد كانت لأن المسلمين خالفوا القرآن بتوجيه دعوتهم لغير العرب من أهل الكتاب؟!! وإذا كان المنافقون هم من انقلب على النبي ﷺ والصحابة؛ فلماذا يفضحهم الله ﷻ ؟!! وإذا كان النبي ﷺ والصحابة الكرام على خطأ عندما حولوا مسار الدعوة من الأميّين إلى الأمميّين؛ لماذا يمدحهم القرآن الكريم؟!!

فظهر من ذلك: أن المنافقين هم إذًا أبطال رواية طرابيشي؛ الذين يصورهم لنا: انقلابيين، وانكشفت ألاعيب طرابيشي؛ بأن ادعاءاته القرآنية ما كانت إلا **مدخلًا لاهوتيًا** لنفي عموم الرسالة المحمدية لجميع البشرية، ولما أسقط بيديه بمجريات غزوة تبوك التي تمثل إعلانًا عمليًّا وعالميًّا: أن دعوة الإسلام دعوة لجميع العالمين؛ أخذ يخلط الأوراق، ويقلب الحقائق! فيصور للقارئ أن هناك حركة تمرد ستمهد للانقلاب القادم، وأن **حركة الضباط الأحرار** بدأت بالتشكل في صفوف الدولة الحديثة.

ولكن؛ لو صدقنا ذلك نرى أن الانقلابيين يتمردون على مبادئ الدستور القرآني الذي أكد لنا طرابيشي أنه هو: التشريع الأوحد، وأن محمدًا ﷺ مكفوف اليد -وحاشاه!- بحسب تعبيره- عن التصرف، لكن واضع الدستور يمدح محمدًا ومن ثبت معه، ويذم المنافقين (الانقلابيين)، فليت شعري من ينقلب على من؟؟

إنها رقصة -بتعبير طرابيشي- الانقلابات التي يقلب فيها طرابيشي بكل حرفنة الحقائق، وينقلب فيها أول ما ينقلب على الحقائق القرآنية التي كان يدعو إليها قبل صفحات قليلة، وهي وإن كانت حرفنة ولكنها عقدة جورج طرابيشي الأولى!

وبحرفنة طرابيشي باختيار نماذجه المدروسة بانتقائية: اختار غزوة تبوك؛ ليبرهن على أن الإسلام ليس دين فتوحات، لأن حركة التمرد تمنع ذلك -أي: ما يسميه من التحول من دين الرسالة إلى دين الفتوحات-، لكن حرفنة طرابيشي هذه المرة كانت سببًا في كشف مآربه، وانعكس عليه ما أراد أن يبرهن عليه، فغزوة تبوك التي أثنى الله ﷻ على المؤمنين المشاركين فيها تمثل الدليل العكسي لما أراد أن يوقع القارئ في أسره ويجعله -على حد تعبيره-: (غير مفكر فيه).

فظهر من ذلك: أن القرآن الكريم هو الذي مهد لانطلاق الفتوحات لنشر الدعوة لجميع البشر؛ بما وعد به المؤمنين بالنصر والأجر العظيم.

وهنا لا بد من تسجيل شكر خاص لطرابيشي؛ بكشفه لنا عن ضباطه الأحرار

**(المنافقون)**، مما يسهل علينا تتبع جذور وتاريخ الحركة الانقلابية التي يتحدث عنها، والتي أقام كتابه عليها، لأن خيوط الحركة الانقلابية الطرابيشية متشابكة لأبعد الحدود! مما يصعب فك طلاسمها وأسرارها، بما يشبه أسرار لاهوت طرابيشي نفسه!!

**أسانيد رواية طرابيشي:**

بانتهاء عهد الآباء المؤسسين (المنافقين) سيستلم راية التمرد ما أسماهم طرابيشي بـ (القرآنيين)؛ فيقول: **"ومع تحوله -أي: الإسلام- من الرسالة إلى الفتوحات، عن مكر التاريخ، فالإسلام الذي خرج في طور أول إلى الفتوحات حاملًا الرسالة القرآنية ارتد بعد الفتوحات، وفي طوره الثاني: نحو نفسه، محملًا بما سيتم تكريسه تحت اسم: السنة النبوية، ففي الصدر الأول وقبل أن تستقر الفتوحات بعض الاستقرار: لم يكن للإسلام من أهل آخرين سوى أهل القرآن،**

**ولكن بعد أن أتت الفتوحات أكلها؛ ظهر أهل السنة، وانتزعوا الغلبة تدريجيًّا لأنفسهم ولمصطلحهم؛ حتى لم يعد تعبير الأهل القرآن دارجًا في الاستعمال..."**(١).

وكم تعجبت وأنا أقرأ هذا النص! أيعقل أن قارئًا تاريخيًّا وناقدًا فلسفيًّا وكاتبًا بحجم طرابيشي يقع بمثل هذه السقطة التاريخية المعرفية؟!

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص١٠١).

من يصدق أن جورج طرابيشي الذي يحفر بعمق في جذور المصطلحات، ويبحث في حفرياتها الأدبية واللغوية والتاريخية والاجتماعية؛ يخرج من رأسه (**أهل القرآن**)؟!! ومتى؟ في (**الصدر الأول**)!

لقد أخرج لنا طرابيشي ما يزيد عن مئة كتاب تأليفًا وترجمة، وهذه الوفرة في الإنتاج سبقها غزارة في المطالعة، وهذا لا يخفى على قارئ طرابيشي، ومع ذلك لم يذكر طرابيشي من أطلق هذا المصطلح على الجيل الأول، ولم يذكر لنا حادثة واحدة بسند صحيح أو غير صحيح تدلل على وجود قرآنيين في مقابل سنّيين! ويتضح من العبارة أنهم: الصحابة الأوائل، وأنه يتحدث -على أقل تقدير- عن زمن الخلفاء الراشدين.

وسنسلم لطرابيشي بذلك، لكن من هم الذين قادوا الانقلاب، وكيف حدث؟! هل سكت أهل القرآن عن هذا الانقلاب؟ أتمنى لو ذكر لنا طرابيشي حادثة واحدة ولو على سبيل التلميح.

ثم إذا عدنا إلى ما ذكره عن غزوة تبوك كمرحلة تمرد تسبق الانقلاب -على رأي طرابيشي- بسبب نزعة الفتوحات؛ فكان الأصل: أن تتوقف الفتوحات لا أن تتطور جغرافيًّا، وإذا كان هؤلاء الفاتحين في الطور الأول هم: أهل القرآن؛ لماذا خالفوا القرآن وخرجوا فاتحين، والقرآن يقول لهم: إن هذا الدين للعرب غير الكتابيين؟ فلماذا يقدموا أنفسهم يبذلوا أموالهم في سبيل الفتوحات؟ يا الله! من ينقلب على من؟!!

وسأحاول أن أسعف طرابيشي برواية تدل على وجود القرآنيين في هذا الزمان: ما يروى عن الحسن قال: "بينما عمران بن الحصين رضي الله عنه يحدث عن سنة نبينا محمد ﷺ إذ قال له رجل: يا أبا نجيد! حدثنا بالقرآن، فقال له عمران بن الحصين رضي الله عنه: أنت وأصحابك تقرؤون القرآن، أكنت محدثي عن الصلاة وما فيها وحدودها؟ أكنت محدثي عن الزكاة في الذهب والبقر وأصناف الإبل؟ ولكن قد شهدتُ وغِبتَ أنت، ثم قال: فرض رسول الله ﷺ في الزكاة كذا وكذا، فقال الرجل: أحييتني أحياك الله!".

قال الحسن: "فما مات ذلك الرجل حتى صار من فقهاء المسلمين"[1].

وفي رواية: "فغضب عمران بن الحصين رضي الله عنه، وقال للرجل: هل قرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعًا، ووجدت المغرب ثلاثًا، والغداة -أي: الفجر- ركعتين، والظهر أربعًا والعصر أربعًا؟ قال: لا.

قال: فعن من أخذتم ذلك؟ ألستم عنا أخذتموه وأخذناه عن رسول الله ﷺ؟

---

(١) أورده السيوطي في «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة»، تحقيق د سراج الدين حنيف، دار القرآن والسنة، الطبعة الثالثة (٢٠٠٦م)، (ص٩١)، وعزاه المحقق لـ «الشريعة» للآجري، والخطيب البغدادي في «الكفاية»، والبيهقي في «دلائل النبوة»، وفي هذا الكتاب من الأقوال والمواقف التي لا تحصى على لسان النبي ﷺ والخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين وأئمة الدين من الأئمة الأربعة وغيرهم في إثبات حجية السنة؛ كما أثبتها القرآن الكريم، فهي من المسلمات البديهية في فكر الأمة.

قال: أوجدتم في القرآن ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾[الحج:٢٩]؟ أوجدتم فيه: فطوفوا سبعًا، واركعوا ركعتين خلف المقام؟ أوجدتم فيه من كل أربعين شاة شاة واحدة..."[1].

وفي هذا النص يظهر: أن فكرة الاحتجاج بالقرآن دون السنة كانت ما تزال في بدايتها، وهذا الرجل قطعًا ليس من الصحابة، فلذلك قال له عمران بن الحصين رضي الله عنه: "شهدتُ وغِبتَ أنت"، وأن الرجل كان له جماعة تقول بقوله، فلما علمه الصحابي الجليل اقتنع بما قال.

وإذا علمنا أن وفاة عمران بن الحصين رضي الله عنه كانت سنة (٥٢ أو ٥٣ هـ)، وهو ممن نزل البصرة من الصحابة[2]؛ فيتبين لنا أن هذه الفكرة تأخرت -نوعًا ما- إلى منتصف القرن الأول، وكانت بعيدة عن مهد الرسالة في مكة والمدينة، وأن الفكرة تم وأدها في بدايتها، ولا يمنع هذا وجود أشخاص آمنوا بذلك، أو حالات فردية تبنت الفكرة، ولكن لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون أصحابها لهم مكانة وقوة ونفوذ وطائفة، أو أن يكون أحد انقلب عليهم -كما يصور لنا طرابيشي-، فهي مجرد أفكار

---

(١) «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة» (ص٦٣).

(٢) انظر: ترجمته: ابن حجر، «الإصابة في تمييز الصحابة»، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، (١٩٩٥م)، (٤/ ٥٨٥).

رددها البعض.

فهل يعقل أن هؤلاء هم القرآنيون الذين كانت لهم السلطة وقادوا الفتوحات؟!!

ثم نتساءل بعد التسليم لطرابيشي أن الصدر الأول من جيل الفتوحات كان قرآنيًّا -كما زعم!-: كيف كانوا يصلون؟ ويزكون؟ ويحجون؟ ويصومون؟ فتفاصيل ذلك لم تذكر في القرآن الكريم، فهلا أخبرتنا برواية يتيمة تقول لنا كيف عبد الصحابة القرآنيون ربهم؟ أم أن طرابيشي يقصد: المنافقين، وبما أنهم كانوا يتظاهرون بالإسلام؛ فلم نعرف عنهم شيئًا، فهنا يعذر طرابيشي لفقدانه الأدلة التاريخية!!

ولكن يصعب أن نقول ذلك، فهو يصفهم بالفاتحين، والمنافقون كانوا خوالف في زمن نزول الوحي، فهل انصلح حالهم بعد انقطاع الوحي؟!! ربما استراتيجية خلط الأوراق الطرابيشية من الفاعلية بمكان؛ لدرجة أنها أثرت حتى على صاحبها!!

وبما أن طرابيشي إعلامي سابق طبق نظرية **(اخلط الأوراق، واخلط الأوراق حتى يصدقك الناس)**، على طريقة نظرية "جوبلز" -وزير الدعاية النازي-: "اكذِب اكذِب حتى يصدقك الناس!".

لكنه الخيال الطرابيشي الأسطوري! الذي أخرج لنا **أسطورة القرآنيين**، وإذ بطرابيشي الذي كان يحارب الأساطير يمارس أسطرة التاريخ كما يشتهي!

والعجيب: أن هرطقات طرابيشي السابقة كانت عقلانية نوعًا ما، أما هرطقته

الأخيرة فكانت لا عقلانية!! فكان يهذي بما يعرف من أصوليته التي ارتد إليها؛ فلذلك ابتعد عن العقلانية بهذا الشكل، وهكذا تفعل الأصولية بصاحبها، وربما هي المعجزة -لا غير- التي جعلت القرآنيين الأوائل أصحاب سلطة، ولكن طرابيشي لا يؤمن بالمعجزات، والمعجزة الأكبر: كيف استولى السنيون على السلطة، وأزاحوا القرآنيين؛ إنها العجائبية بعينها!!

إن كتاب طرابيشي «**من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**» يقوم على أصلين مترابطين:

**الأول**: نفي حجية السنة النبوية.

**والثاني**: نفي عموم الرسالة المحمدية لجميع البشرية.

**وهي أطروحته المركزية**، وقصرها على العرب من غير أهل الكتاب، فالنفي الأول سيؤدي للنفي الثاني، وذلك أن القرآن الكريم -بزعمه!- لم يمنح النبي ﷺ صلاحية تشريعية، فهو مبلغ عن ربه، وبينت إن بلاغه إنما يكون لقومه من العرب الأمّين -غير أهل الكتاب-، لكن ظهرت أحاديث فيها بعد تظهر عالمية الإسلام، وهذه الأحاديث باطلة من وجه مخالفتها للدور الرسالي للنبي محمد ﷺ الذي نص عليه القرآن الكريم، وهذه الأحاديث كانت سببًا في تحول الإسلام من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث.

فالإسلام الأول كما نزل به الوحي هو: إسلام القرآن، ولكن ظهر تاريخيًّا تحول الإسلام القرآني لإسلام حديثي، وهذا التحول يقتضي وجود فئتين: قرآنيين، وحديثيين -أو سنيين-، والقرآنيون هم الصدر الأول؛ كما صرح طرابيشي، وأما الحديثيون فهم ظهروا فيما بعد وانقلبوا على القرآنيين، فالكاتب يتحدث عن زلزال مدمر في بنية المركب المعرفي والديني والثقافي للأمة الإسلامية، فلذلك عرض في الفصل الأول: **(الله والرسول: الشارع والمشرَّع له)**، ثم حشد الآيات الكريمة التي تدل على أن النبي ﷺ لا دور له سوى التبليغ، ونفي الدور التشريعي للسنة النبوية؛ فيقول: **"وهذا التمييز -أي: بين النبي والرسول- حاسم الدلالة في تحديد العلاقة التشريعية بين الله ورسوله.فالله هو: الشارع والرسول هو: المشَّرع له، وهذا الحصر للرسول -من وجهة النظر التشريعية- في موقع المفعولية دون الفاعلية يمكن استقراؤه في العشرات من الآيات القرآنية"**[(١)].

ويقول: **"ولنشرع الآن -مع القارئ- برحلتنا الاستقرائية مع الآيات القرآنية التي تؤكد ما ذهبنا إليه من أن الرسول: مكفوف اليد من الناحية التشريعية؛ فضلًا أنه معطَّل عن الإرادة الذاتية، منهي عن المبادرة، ومطالب بالخضوع التام من**

---

(١) «من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث» (ص١٠).

**حيث هو مرسَل للمشيئة الإلهية المرسِلة، وهذه تحت طائلة العقاب...**"[١].

وأترك للقارئ الكريم استخراج معجم (**سوء الأدب**)! الطرابيشي مع النبي ﷺ من النص السابق: (مكفوف اليد-معطل الإرادة-طائلة العقاب)، وغيرها كثير في هذا الكتاب، ولكن يظهر أن من صفق للكتاب من المسلمين كان تأثير تنويم مغناطيس قلم طرابيشي؛ فلم ينتبه لمثل هذه العبارات!

وإذا عدنا لما نحن بصدده في مناقشة طرابيشي في مدلول هذه الآيات؛ فإنا نتفق مع طرابيشي فيما ذهب إليه من إثبات مصدر الرسالة المحمدية، وهو: الوحي الإلهي، ولكن **استراتيجية خلط الأوراق الطرابيشية** توصلنا لما هو مخالف لمدلول الآيات الكريمة، وعلى العكس من ذلك: تثبت شرعية الرسالة المحمدية من جهة، وتشريعيتها من جهة أخرى.

فالشارع (الله ﷻ) يمنح رسوله ﷺ سلطة تشريعية، منها: ما كان بالوحي، ومنها: ما كان بالاجتهاد، ويراقبه في أدائها، فإذا ما حصل مجانبة للصواب -في حالات نادرة؛ كحادثة أسرى بدر، وعبس وتولى، وغيرها من الحوادث-؛ ينزل الوحي لتصحيح ذلك، لضمان سلامة التبليغ والاجتهاد التشريعي الممنوح للنبي ﷺ، ولكن طرابيشي خلط هذا بهذا، ويستدل بالآيات التي صوبت بعض المواقف ليطلق عليها: (كف اليد،

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص١١).

وطائلة العقاب)، ونحوها من ألفاظ لا تليق بمقام النبوة.

وطرابيشي يعلم أن القرآن الكريم لم يذكر تفاصيل الصلاة، وإنما شرعها النبي ﷺ، وأنواع الصلوات سوى المفروضة كثيرة جدًّا، وكذلك أعمال الصلاة وأذكارها وشروطها وهيأتها كثيرة جدًّا، فليذكر نصًّا قرآنيًّا واحدًا أو رواية صحيحة أو مزيفة في كف يد المصطفى -وحاشاه!- عنها، وقُل نحو ذلك في الزكاة والصوم والحج وسائر أعمال وأحكام الشريعة الإسلامية؛ من عبادات ومعاملات وآداب!

ولنمض مع قرآنية طرابيشي، ولنقل أن ذلك حصل، ولكن أصحاب السلطة من القرآنيين لم يتمكنوا من إظهار ذلك؛ لأنهم يتوجسون خيفة من مؤامرة الحديثيّين الذين بدأت دسائسهم تظهر في الصدر الأول، لكن طرابيشي لم يخبرنا بشخصية قرآنية واحدة في هذا العصر، وذلك لأن الحديثيّن أخفوا جميع الحقائق والوثائق التي تدل على أحداث المرحلة عندما استلموا السلطة، تمامًا كما يفعل الانقلابيون بإخفاء ما يدينهم فيحرقون أرشيف الأحداث.

وعليه؛ فيكون أهل الحديث ليسوا وضاعين للأحاديث كما يتهمهم طرابيشي فحسب، بل هم كذلك أخفوا تاريخ مرحلة بأكملها، أو بالتعبير الطرابيشي: حُكِمَ عليهم -أي: القرآنيين- بالإنقراض[1]، تمهيدًا لتنفيذ المؤامرة الكبرى، ولكن طرابيشي

---

(١) انظر: طرابيشي، «من إسلام القرآن» (ص٢١٨).

الذي يتهم خصومه بسد الفراغات التاريخية نسي أن يسد فراغ تاريخ القرآنيين في الصدر الأول؛ فقفز إلى أواخر القرن الثاني! فعند حديثه عن تكريس الشافعي للسنة تحدث لأول مرة عن مقاومة أصحاب السلطة للانقلابين؛ فيقول: "**وقد صدرت هذه المقاومة عمن يمكن تسميتهم بـ (القرآنيين)**"، ثم يتراجع؛ فيقول: "**وإن كان يصعب تحديد هويتهم بعد محق آثارهم**"، فلما عجز عن خلق شخصية قرآنية واحدة في القرن الأول والثاني حاول صياغة تعريف لهم ليوهم القارئ بوجودهم؛ فقال: "**ونقصد بـ (القرآنيين): من اعتبروا الكتاب وحده -دون السنة المستلحقة به- المرجع الوحيد في البيان الإلهي**"[١].

فانكشف أمره من فصل مسرحيته الأول، وبان عوار الفصل الثاني؛ وهو عقدة الرواية: نفي عموم الرسالة المحمدية لجميع البشرية، ثم توالت سقطات الناقد الفلسفي والمؤرخ الناقد لدرجة العجز في الفصول التالية!

والأعجب من ذلك: أنه يلجأ لأرشيف المحدثين عند الحاجة إليه؛ لسد فراغاته الكثيرة، فيستدل على نفي حجية السنة بالسنة، فمن كان قبل قليل مكفوف اليد -وحاشاه!- يصبح مطلق اليد، ومن كان معطّلًا يصبح عاملًا، وهنا نسأله: أليست تلك الأحاديث من وضع المحدثين؟!! فكيف تستدل بها وتبني عليها أحكامك بما أنها

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص١٨٦).

موضوعة مزيفة؟!! فهو قرآني متى يريد ذلك، وحديثي إن أراد ذلك، فلا بأس بالانقلاب على الانقلاب في شخصية أصابها هوس الانقلاب!!

وفي قفزة عجائبية من الصدر الأول إلى القرن الثاني؛ يعنون منظر القرآنيين بالفصل الثالث: (**مالك بن أنس: هامش من الحرية**)[1]، وإذا علمنا أن مولد الإمام مالك رحمه الله (٩٣ هـ) ووفاته (١٧٩هـ)، فهذا يعني: أن فترة الفراغ الدستوري -بحسب لغة الساسة؛ وخاصة في زمن الانقلاب- ستطول إلى أبعد من زمن الصدر الأول.

ولنتصور أن الانقلاب الحديثي بدأ في منتصف القرن الأول؛ فعليه أن فاعليته ستستمر إلى بداية القرن الثاني إلى حين وصول الإمام مالك إلى مرتبة القائد الملهم والمصلح، بحيث يصبح يناور الانقلابيين ليرجع الأمور لنصابها، ولكن طرابيشي فاته سد فراغ مع من تفاوض مالك؟ وأين جرت المحادثات؟ وما التنازلات التي قدمها الانقلابيون لمالك مما جعل له هامش من الحرية؟ ويبدو أن مالكًا كان من الدهاء في مناوراته التفاوضية فاستطاع كسب هذا الهامش، ولكن المالكية من بعده أضاعوا كل هذه المكاسب.

وعلى طريقته الانقلابية قدّم طرابيشي الكلام عن الإمام مالك والإمام الشافعي قبل الإمام أبي حنيفة رحمهم الله، فيعنون: (الفصل الخامس: **أبو حنيفة من الرأي إلى**

---

(١) (ص١٠٩).

**الحديث)**[١]، وبالعقدة الانقلابية ذاتها ينقلب تلاميذ أبي حنيفة عليه، وهما صاحباه: أبو يوسف القاضي، ومحمد بن الحسن، فيرى طرابيشي: "**أن ثمة مسافة، من طبيعة إبستمولوجية، تبدو لنا فاصلة بين المعلم والتلاميذ، فيوم (قال ) أبو حنيفة، في النصف الأول من القرن الثاني؛ لم تكن المدونة الحديثية قد تبلورت بعد، ولم تكن الآثار المروية عن النبي أو المتداولة على لسانه قد شقت طريقها من الحجاز إلى العراق متجاوزة المحطة الانتقالية التي كانت تمثلها الشام الأموية...**

**بل أكثر من ذلك؛ فتلميذا أبي حنيفة بالذات كانا من أوائل أولئك الطالبين؛ فأبو يوسف القاضي -وإن لم يرحل- بادر يتصل، حتى قبل اتصاله بأبي حنيفة، بالمحدِّثين ويتلقى عنهم ...**

**أما محمد بن الحسن؛ فقد مارس الرحلة فعليًّا؛ إذ رحل إلى مالك، وتلقى عنه فقه الحديث والرواية...**"[٢].

لكن يظهر أن أبا حنيفة لم يكتشف الميول الحديثية لدى تلاميذه، فكيف سيكتشف

---

(١) (ص٢٧٣).

(٢) «من إسلام القرآن» (ص٢٧٦).

النوايا الانقلابية الخبيثة؛ وخاصة أن المحدثين هم من دس هذين الجاسوسين في نظام حكم أبي حنيفة لينقلبا عليه بعد وفاته، ويحولا مذهبًا بأكمله من الرأي للحديث؟ ألم يقل طرابيشي: إن أبا يوسف اتصل بالمحدثين قبل اتصاله بأبي حنيفة!! وأما محمد بن الحسن فرغم اتصاله بالإمام مالك فلم يستفد من هامش الحرية منه، ومع ذلك شارك صاحبه أبا يوسف في الانقلاب؟! لكن مسلسل الانقلابات في مذهب أبي حنيفة لم يتوقف؛ فأتباع المذهب سيقدمون التنازلات تلو التنازلات خوفًا من اللوبي الحديثي **"هذه التنازلات أمام الأيدلوجيا الحديثية"**[1]؛ ليحولوا الإمام أبا حنيفة إلى صاحب حديث.

وأما زعيم الانقلابيين، والأب الروحي لهم، وقارئ بيان رقم (١): الإمام الشافعي؛ فسيتحدث عنه طرابيشي بما يقارب مائة صفحة، فيعنون: (**الشافعي: تكريس السنة**)[2]، ولو قال: (تكريس الحكم الانقلابي) لما أبعد، ويظهر خيط جديد في كشف مؤامرة الانقلاب، ولكنه سرعان ما يفلت من يد طرابيشي، فـ **"صدرت هذه المقاومة عمن يمكن تسميتهم بـ (القرآنيين)، وإن كان يصعب تحديد هويتهم بعد محق آثارهم، ونقصد بـ (القرآنيين): من اعتبروا الكتاب وحده -دون السنة**

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٢٨٩).

(٢) (ص١٧٣).

**المستلحقة به- المرجع الوحيد في البيان الإلهي**"[١].

وبخبرة محلل الانقلابات يكشف لنا طرابيشي: أن الشافعي صرح باسم (**المنقَلب عليهم**)؛ بما أفرده الشافعي تحت عنوان: (باب حكاية قول الطائفة التي ردت الأخبار كلها -أي: الأحاديث-)، في كتاب (جماع العلم) من كتاب «الأم» [٢]، ثم قال الشافعي: "قال لي قائل ينسب إلى العلم بمذهب أصحابه"، وهكذا على عادة الجماعات السرية الانقلابية يخفي الشافعي اسم القائل، فكيف سيصرح باسمه؛ فتنكشف المؤامرة؟!

فالانقلاب التام لم يتم بعد، فكان الشافعي بمكر المخطط الانقلابي من الذكاء بمكان فاخفى اسمه!!

ويذهب طرابيشي -في هامش الكتاب[٣]- لتأييد ما قاله الأستاذ محمد الخضري: "**إن المعنيين بهؤلاء (الأصحاب) المعتزلة، ولكن لا يستبعد -أيضًا- أن يكونوا من الخوارج**"، نعم؛ هكذا وضع طرابيشي القرآنيين المنقَلب عليهم في الهامش، مع أنهم أبطال روايته، وبذكرهم ستتكشف خيوط الحركة الانقلابية.الحديثية؛

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص١٨٦).

(٢) انظر: المصدر السابق، (ص١٨٧).

(٣) المصدر السابق.

فكان الأحرى به بما عرف عنه من جلد على البحث وسعة اطلاع: أن يمضي في تتبع خيوط الحركة الانقلابية، ولكن قدراته البحثية لم تسعفه، ليس لقلة خبرة وضعف مهارة، فمثل طرابيشي لا تعوزه مهاراته في التنقير عن أدلته بالمنقاش من ركام التاريخ، فلو وجد شبه رواية لطار بها، وحلّلها، وجعل لها فصلًا كاملًا، واستخرج لها شخصيات تؤيد رأيه؛ لكنه لم يجد إلا سرابًا! ورغم موافقته لما ذكره الأستاذ محمد الخضري أنهم: المعتزلة، وأضاف لهم الخوارج، وحينهاستتكشف المسرحية من فصولها الأولى، ويبطل مفعول تنويمه المغناطيسي للقارئ من جلسة التنويم الأولى!

وذلك؛ أن ظهور فكر الاعتزال كان في أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني، وطرابيشي يقول: إن القرآنيين كانوا في الصدر الأول، وإن الحديثين انقلبوا عليهم؛ فحولوا الإسلام **من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**، وهذا سيظهر زيف دعواه من جهتين:

أن قصة الشافعي مع مناظره كانت تقريبًا في أواخر القرن الثاني؛ مما يجعل الفجوة الزمنية كبيرة جدًّا بين الصدر الأول وزمن الشافعي.

والثاني: أن الشافعي والمحدثين هم من انقلب على القرآنيين، وهذا يعني: أن السلطة الحاكمة والسلطة المعرفية كانت بيد القرآنيين، ثم انتزعها أهل الحديث منهم، والتاريخ لا يذكر ذلك لا من قريب ولا من بعيد! فلما ورط طرابيشي نفسه في لعبة **اللاتاريخ**،

لجأ إلى تهميش أبطال روايته في الهامش، وأضاف لهم الخوارج، فإن يكون لديك وهم واقعة تاريخية خير لك من لا شيء!!

وحتى يظهر للقارئ الكريم من يقصد الإمام الشافعي بهذه الفئة؛ أنقل تحقيق الأستاذ عبد الغني عبد الخالق في كتابه الماتع «حجية السنة»، تحت عنوان: (**هل أنكر بعض أئمة معتزلة البصرة حجية السنة؟**)[1]، ثم نقل رأي الأستاذ محمد الخضري أن مقصود الشافعي من ذلك: بعض أئمة المعتزلة في البصرة، قال الخضري: "ولم يظهر لنا الشافعي شخصية من كان يرى هذا الرأي، ولا أبانه التاريخ، إلا أن الشافعي -في مناظرته لأصحاب الرأي الآتي (يعني: الذين يردون خبر الخاصة)، قد صرح بأن صاحب هذا المذهب (يعني: من يرد الأخبار كلها): منسوب إلى البصرة، وكانت البصرة مركزًا لحركة علمية كلامية؛ ومنها نبعت مذاهب المعتزلة؛ فقد نشأبها كبارهم وكتابهم، وكانوا معروفين بمخاصمتهم لأهل الحديث، فلعل صاحب هذا القول منهم[2].

---

(١) عبد الخالق: عبد الغني عبد الخالق، «حجية السنة»، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الوفاء-القاهرة، سلسلة قضايا الفكر الإسلامي (١)، دون سنة الطبع، (ص٢٥٥).

(٢) نقله في «حجية السنة» (ص٢٥٨)، وانظر: الخضري، محمد بك الخضري، «تاريخ التشريع الإسلامي»، دار الفكر-القاهرة، الطبعة الثامنة، (١٩٦٧م)، من (ص١٥٣ إلى ص١٥٥).

ثم قال الخضري: "وقد تأيد عندي هذا الظن؛ بما رأيته في الكتاب الموسوم بتأويل مختلف الحديث لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦ هـ) وفيه:... فإنك كتبت إلي تعلمني ما وقفت عليه من ثلب أهل الكلام أهلَ الحديث وامتهانهم وإسهابهم في الكتب بذمهم..."[١]، قال الخضري: "ومن ذلك يفهم: أن غارة شعواء شنت في هذا العصر -الذي كتب فيه الشافعي رسالته، أو قبل ذلك بقليل- من المتكلمين على أهل السنة.

وأكثر المتكلمين كان بالبصرة؛ فمن المؤكد: أن يكون الذي ناظر الشافعي من هؤلاء"[٢].

وبعد نقل الشيخ عبد الغني عبد الخالق لرأي الأستاذ الخضري: أن مناظر الشافعي كان من المعتزلة؛ رد هذا الرأي، مبينًا أن المناظر إنما رد السنة من حيث احتمال الخطأ والسهو والكذب على الرواة؛ وإن بلغوا عدد التواتر -على زعمه!-، ولا ينكر حجية السنة من حيث هي سنة[٣]، ثم عنون بعد ذلك بصفحات: (**مناظر الشافعي: إن كان منكرًا للحجية فليس معتزليًّا**)، ثم قال: "لو فرضنا جدلًا: أن هذا الخصم كان ينكر

---

(١) «تاريخ التشريع الإسلامي» (ص٢٥٨).

(٢) المصدر السابق، (ص٢٦٠).

(٣) انظر: المصدر السابق، (ص٢٦١).

حجية السنة؛ فلا يصح القول بأنه من المعتزلة -كما ذهب إليه الخضري-، فإنه لم ينقل في كتب الأصول، ولا في كتب التوحيد والفِرق: أن أحدًا من المعتزلة أنكر حجيتها"[١].

وعند الرجوع لكتاب «الأصول الخمسة» للقاضي عبد الجبار المعتزلي؛ نرى أن المعتزلة لم ينكروا حجية السنة؛ حيث جاء فيه: "فما قولكم في الأخبار التي يروون؛ أتقبل كلها أم لا؟ قيل له: أما إن ثبت بالأخبار المتواترة وعلمنا أن رسول الله ﷺ قال ذلك وعمل به ؛قلنا به، وما رواه الواحد والاثنان ومن يجوز عليه الخلط؛ لا يقبل في الديانات، ويقبل في فروع الفقه؛ إذا كان الراوي ثقة، ضابطًا، عدلًا، ولم يخالف ما رواه الكتاب، ولم يمنع من قوله مانع، وما روي من مخالف الكتاب ودلالة العقل؛ تأولناه على الوجه الصحيح؛ كما نتأول كتاب الله ﷻ على ما يوافق دلالة العقل لا على ما يخالفها"[٢].

وهذا نص يمثل منهج المعتزلة في التعامل مع السنة، وأكثر من ذلك نرى كبار المعتزلة كالجاحظ -وهو قريب العهد بالشافعي- يحتج بالأحاديث في كتبه؛ كما في «البيان والتبيين»، وغيرها من كتبه.

---

(١) «حجية السنة» (ص٢٦٧).

(٢) «الأصول الخمسة»، القاضي عبد الجبار بن أحمد الأسد أبادي، تحقيق فيصل عون، منشورات جامعة الكويت، (١٩٩٨م)، (ص٩٨).

ويرى الشيخ عبد الغني عبد الخالق: أنه ليس في كلام ابن قتيبة ما يدل على إنكارهم لحجية السنة، وكل ما يفهم منه: أن المعتزلة لم تر الاحتجاج بما كان يرويه غيرهم (من الفرق)؛ لاحتمال كذبهم في ذلك، أو لأنه متناقض، أو مناف لما ذهبوا إليه من نفي الصفات؛ لا لأنه قول الرسول ﷺ، ثم يتساءل: وكيف وابن قتيبة نفسه يعترف: بأنهم كانوا يتمسكون بالأحاديث كغيرهم؛ حيث يقول:" **وتعلق كل فريق منهم لمذهبه بجنس من الحديث**"[١].

وكما فرح طرابيشي بكتاب «تأويل مختلف الحديث»؛ لأنه حفظ تراث معتزلة القرن الثالث الذي مُحِق من الوجود[٢]، فلنا أن نفرح لأنه أثبت أن جميع طوائف الأمة: سنة وشيعة وخوارج وقدرية وغيرهم كانت تحتج بالحديث، فسرد قائمة بالأحاديث التي تحتج بها كل طائفة -ومنهم المعتزلة-؛ مما يضعف موقف طرابيشي الذي نومنا مغناطيسيًّا لينفي حجية السنة! ويقول أن (القرآنيين) هم الأصل، ثم انقلب عليهم (الحديثيون).

فظهر أن: جميع الأمة كانت تحتج بالحديث؛ على اختلاف بينهم في طرق إثباته

---

(١) «حجية السنة» (ص٢٦٨)، وانظر: قول ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث»، تحقيق سليم الهلالي، دار ابن القيم-الرياض، الطبعة الثانية، (٢٠٠٩م)، (ص٤١).

(٢) «من إسلام القرآن» (ص٣٩١).

وتأويله، فظهر أن (القرآنيين) الذي زعم أنهم: كانوا في (الصدر الأول)؛ لا وجود لهم إلا في مخيلته! ولو كان لهم امتداد تاريخي لاحتجوا بما قاله سلفهم من (الصدر الأول)، ولا شك أن طرابيشي جيد القراءة رأى ذلك في كتاب ابن قتيبة، ولكنه محقه كما محق المحدثون تراث المعتزلة!!

والذي يظهر: أن الجميع أصيب **بفوبيا أهل الحديث**؛ فمنهم من اختفى قسريًّا، ومنهم من استسلم للمحدثين؛ لدرجة أن إمامًا من أئمة المعتزلة في القرن السادس -وهو: الإمام الزمخشري- يحشد الأحاديث في تفسيره خوفًا من أهل الحديث!!

ومع ذلك؛ يفتري طرابيشي على المعتزلة بوصفهم: قرآنيين، وأنهم: رفضوا حجية الحديث؛ فيقول: "**ومن خلال هذه العناوين؛ نستطيع أن نحدد للطائفة المعتزلية التي أنكرت الحديث سمات إبستمواوجية ثلاثًا:**

**(أ) فهي قرآنية.**

**(ب) وهي تقدم حجة العقل.**

**(ج) وهي تعتبر التناقض الذاتي في الأحاديث: دليلًا على بطلان حجيتها، وعلى كونها موضوعة**"[١].

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٣٩٩- ٤٠٠).

لكن يبقى السؤال مشروعًا من مناظِر الشافعي الذي ردت طائفته الأخبار كلها؟ فطرابيشي يخبرنا أنه من (القرآنيين) الذين قاوموا المنقلبين عليهم فـ "**صدرت هذه المقاومة عمن يمكن تسميتهم بـ (القرآنيين)، وإن كان يصعب تحديد هويتهم بعد محق آثارهم، ونقصد بـ (القرآنيين): من اعتبروا الكتاب وحده -دون السنة المستلحقة به-: المرجع الوحيد في البيان الإلهي**"[(١)]، ولا بأس أن يكون من المعتزلة أو الخوارج؛ ولو بالهامش: "**أن المعنيين بهؤلاء(الأصحاب): المعتزلة، ولكن لا يستبعد -أيضًا- أن يكونوا من الخوارج**"[(٢)].

وبما أن طرابيشي تعمّد وضع أبطال أسطورته في الهامش؛ تمامًا كما يفعل المنقلَب عليهم عندما يختبئون تحت الأرض؛ كي لا يظفر بهم خصومهم؛ سنحاول إخراجهم إلى واجهة التاريخ، فابن حزم ﷺ يرى أن القائلين هم من "غالية الرافضة"[(٣)]، ووصف أحد رواة هذا الحديث بأنه: ساقط متهم بالزندقة[(٤)]، ويرى السيوطي: أن

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص١٨٦).

(٢) المصدر السابق، (ص١٨٧).

(٣) نقله الشيخ عبد الغني عبد الخالق في «حجية السنة» (ص٢٥٥)، وهو في «الإحكام في أصول الأحكام»، دار الآفاق الجديدة-بيروت، (١٩٨٣م)، (٢/ ٨٠).

(٤) ابن حزم، «الإحكام في أصول الأحكام»، دار الآفاق الجديدة-بيروت، (١٩٨٣م)، (٢/ ٧٦).

الشافعي كان يناظر الزنادقة والرافضة[١]، وأنه في زمانه -أي: السيوطي- قائلًا رافضيًّا زنديقًا أكثر في كلامه: أن السنة النبوية والأحاديث المروية لا يحتج بها، وأن الحجة في القرآن خاصة[٢]، ثم فصل أصل هذه المقولة بقوله: "وأصل هذا الرأي الفاسد **الزنادقة** وطائفة من **غلاة الروافض**؛ ذهبوا إلى إنكار الاحتجاج بالسنة، والاقتصار على القرآن، وهم في ذلك مختلفو المقاصد، فمنهم: من كان يعتقد أن النبوة لعلي ﷺ، وأن جبريل ﷺ أخطأ في نزوله على سيد المرسلين ﷺ..."[٣].

ويشير السيوطي إلى وجود أصحاب أهل هذا الرأي بكثرة في زمن الأئمة الأربعة ومن بعدهم، وأن الأئمة وأتباعهم تصدوا للرد عليهم في مناظراتهم وكتبهم ودروسهم[٤]، ويبدو أن هذا الرأي الفاسد ظهر مجددًا في زمن الإمام السيوطي؛ فلذلك ألّف كتابه «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة»، فظهرت لنا أسانيد رواية طرابيشي المسلسلة **بالمنافقين والزنادقة**: أن المنقلَب عليهم هم: هؤلاء المنافقون الذين قادوا

---

(١) السيوطي، «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة»، تحقيق د سراج الدين حنيف، دار القرآن والسنة، الطبعة الثالثة (٢٠٠٦ م)، (ص٩٢).

(٢) المصدر السابق، (ص٥٧).

(٣) المصدر السابق، (ص ٥٩).

(٤) انظر: المصدر السابق.

حملة التمرد الأولى؛ كما في غزوة تبوك، نقلوا أفكارهم للزنادقة من بعدهم، ولا عجب في ذلك؛ فإن الزنادقة هم الطبعة الجديدة من المنافقين، وكلاهما من غير المسلمين، فالفكر **اللاقرآني** -الذي يردد طرابيشي ترانيمه في كتابه- أسانيده متصلة بالمنافقين والزنادقة، كان يظهر أحيانًا بين الفترة والأخرى فيحاوره العلماء؛ كما فعل عمران بن الحصين ﵁، وكما رد عليهم الشافعي في زمانه، وأشار لهم ابن حزم، وتكرر ترديد شبههم زمن السيوطي.

ثم لما أطل الاستعمار بوجهه القبيح على الهند وباكستان ظهرت فتنة القرآنيين، وكان خاتمة حفاظهم وكاهنهم الجديد: (**جورج طرابيشي**)، فوضع لهم عهدًا جديدًا، متضمنًا خارطة طريق إنقلابية، "**ومن هذا المنظور المحدد؛ فإن الانقلاب الكوبرنيكي المنشود في الثقافة العربية الإسلامية يمكن أن يأخذ -ضمن جملة أشكال أخرى- شكل عودة إلى (الإسلام القرآني) دون ما عداه، واليوم كما بالأمس البعيد، فإن (القرآنيين الخُلَّص) يمكن أن يضطلعوا بدور ريادي في هذا الانقلاب**"[١].

ومن أعجب الانقلابات الطرابيشية: أنه انقلب على أصحابه القرآنيين الخُلَّص؛

---

(١) طرابيشي، «المعجزة أو سبات العقل المسلم» (ص١٨٣).

فاتهمهم بالكذب بوضعهم حديث (**عرض الحديث على القرآن**)؛ فيقول: "**ونحن لا نشك على كل حال أن حديث عرض الحديث على القرآن هو من وضع بعض (القرآنيين) الذين أرادوا أن يجابهوا (الحديثيين) بمثل سلاحهم**"[1]، ولكنه لم ينتبه لاتهامه هذا؛ إذ كيف يكذب (أهل القرآن) والقرآن يحرم الكذب؟!!

فظهر أنهم **لا قرآنيين**، لكن طرابيشي بأصوليته التي ارتد عنها في أول عمره، ثم عاد إليها بثوبها الحداثي؛ يطعن بكل شيء له علاقة بالإسلام ،فيضحي بأصحابه القرآنيين وينقلب عليهم، وظهر أن مزايداته على إسلام القرآن ما هي إلا مدخلًا لاهوتيًّا.

والأمر الثاني: نبهنا طرابيشي بتسمية القوم الذين وضعوا حديث (عرض الحديث على القرآن) بـ (القرآنيين)؛ ليقدم لنا دليلًا آخر على أنهم: الزنادقة؛ كما قال الإمام السيوطي، حيث أن علماء الحديث كشفوا لنا أن الحديث من وضع الزنادقة، فعملية التجميل التي قام بها مبضع الجراح طرابيشي بتسميتهم بـ (**القرآنيين الخُلّص**) لا يغير من الأمر شيء؛ حيث انكشف وجههم القبيح بجمعهم بين الكذب وتعطيل الشريعة.

قال الإمام ابن حزم: "أول ما نعرض على القرآن: الحديث الذي ذكرتموه؛ فلما عرضناه؛ وجدنا القرآن يخالفه، قال ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص١٨٨)، كما اتهمهم بوضع حديث: «تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله»، انظر: «من إسلام القرآن» (ص٢١٩).

فَٱنتَهُواْ﴾[الحشر:٧]، وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[النساء:٨٠]، وقال ﷻ: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾[النساء:١٠٥].

ونسأل قائل هذا القول الفاسد: في أي قرآن وُجِد: أن الظهر أربع ركعات، وأن المغرب ثلاث ركعات، وأن الركوع على صفة كذا، والسجود على صفة كذا، وصفة القراءة فيها والسلام..."[١].

وقال الإمام ابن عبد البر: "وهذه الألفاظ لا تصح عنه ﷺ عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه.

وقد عارض هذا الحديث قوم من أهل العلم؛ فقالوا: نحن نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل كل شيء، ونعتمد على ذلك، قالوا: فلما عرضناه على كتاب الله ﷻ وجدناه مخالفًا لكتاب الله؛ لأنا لا نجد في كتاب الله ألا نقبل من حديث رسول الله ﷺ إلا ما وافق كتاب الله، بل وجدنا كتاب الله يطلق التأسي به، والأمر بطاعته، ويحذر المخالفة عن أمره جملة على كل حال"[٢].

ونقل عن الإمام عبد الرحمن بن مهدي: أن هذا الحديث من وضع الزنادقة

---

(١) «الإحكام في أصول الأحكام»، دار الآفاق الجديدة-بيروت، (١٩٨٣م)، (٢/ ٧٩).

(٢) «جامع بيان العلم وفضله»، تحقيق أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي-الدمام، الطبعة الأولى، (١٩٩٤م)، (٢/ ١١٩١).

والخوارج[١].

ومن قبلهم نقل الإمام ابن بطة عن الإمام الساجي: "هذا حديث موضوع عن النبي ﷺ، وبلغني عن علي بن المديني أنه قال: ليس لهذا الحديث أصل، والزنادقة وضعت هذا الحديث"، ثم قال ابن بطة: "وصدق ابن الساجي وابن المديني رحمهما الله-؛ لأن هذا الحديث كتاب الله يخالفه، ويكذب قائله وواضعه..."[٢].

**تحليل عُقد طرابيشي:**

العصاب كما يعرفه طرابيشي المحلل النفسي: "كل خلل أو اضطراب من طبيعة مرضية يصيب الشخصية أو قطاعًا منها؛ نتيجة لتمحورها حول عقدة نفسية، فإن العقدة التي ينتظم من حولها (العصاب الجماعي العربي)، هي: عقدة التثبيت على الماضي، وعلى اعتبار أن هذه العقدة من طبيعة نكوصية؛ فقد كان لا بد لنا من تحديد اللحظة التاريخية لها"[٣].

واللحظة التاريخية التي شكلت الانقلاب الطرابيشي الأول: الردة عن الدين -كما وصفه في مقاله الأخير-؛ مثلت العقدة الأولى له؛ فيصفها بقوله: "**ووصلت إلى**

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٩١)، وأشار المحقق لقول الإمام ابن بطة عن الحديث.

(٢) «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية»، تحقيق رضا معطي، دار الراية-الرياض، (١٩٩٤م)، الطبعة الثانية، (٢/ ٢٦٦).

(٣) انظر: طرابيشي، «المثقفون العرب والتراث» (التحليل النفسي لعصاب جماعي)، (ص١٠).

**البيت وأنا في شبه هذيان، وأصابتني حمّى حقيقية، وبقيت يومين طريح الفراش، ثم لما أفقت كان ردّ فعلي الوحيد: أنني قلت بيني وبين نفسي: لا، إن الله ذاك الّذي حدثني عنه الكاهن لا يمكن أن يوجد، ولا يمكن أن يكون ظالمًا إلى هذا الحدّ! ومن ذلك اليوم كففت عن أن أكون مسيحيًّا"**[1].

فهذه العقدة التي تطارد طرابيشي في كل مراحل حياته الفكرية الحافلة، فانعكس ذلك على شخصيته الفكرية من خلال انقلاباته الشخصية، وهو الباحث الناقد، فأخذ يتلمس الحقيقة التائهة لعله يجدها هنا أو هناك، فشكلت في نهاية المطاف مشروعًا طرابيشيًّا حداثيًّا، عبر محطات من الهرطقة تلو الهرطقة، حتى وقف به قطار تأنيب الضمير على رصيف الأصولية؛ لعله يريح نفسه المتعبة، فعبّر عنه بـ «**من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**»، وحقيقته ما أصابه من **عُصاب الردة**.

فلا شك أن عقلًا كعقل طرابيشي الناقد الفلسفي اقترب كثيرًا من معرفة الإسلام بما أوتي من جَلد على القراءة واطلاع واسع على التاريخ الإسلامي وآراء فلاسفة الإسلام ومفكريه وعلمائه، وهو قبل ذلك ارتد عن دينه في أوائل مسيرته الفكرية، وترسخت ردته بعقله الناقد لما تربى عليه من تربية لاهوتية، ومن يقرأ لطرابيشي في كتابه «**من**

---

(١) طرابيشي، (ست محطات في حياتي)، بتاريخ (٢٣/ ٢/ ٢٠١٥م)، موقع «الأثير الإلكتروني» http://www.atheer.om/archives/١١٢٥٧

**إسلام القرآن..**» لا يسعه أن يشك أن طرابيشي أحد القرآنيين!! نعم؛ إنه قرآني مرحلي -فالغاية تبرر الوسيلة-؛ ليصل إلى غايته اللاهوتية، ففكر وقدّر، ثم نظر، ثم أدبر واستكبر، وقال: إن محمدًا لم يرسل لأمثالي من أهل اللاهوت، بل أرسل للأميّين الذين ليس عندهم كتاب، ولكن من سيصدق ذلك؟ وما الطريقة الأمثل لأقنع نفسي أولًا والقارئ ثانيًا؟

نعم؛ إنها مسرحية الانقلابات مرة أخرى، ففكر وقدّر، ثم نظر، ثم أدبر واستكبر؛ وقال: نعم؛ هم: **علماء الحديث الذين حولوا الإسلام من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**، وغني عن الذكر أن القرآن كما يريده طرابيشي الذي أنزل للعرب خاصة، وبما أن طرابيشي عربي قومي؛ فلا بد من قيد آخر: **عربي غير كتابي**؛ حتى يرتاح ضميره الذي ما زال يؤنبه منذ الردة الأولى.

فجريمة علماء المسلمين الأولى -إذًا- ليس نظامهم المعرفي القائم على الفصل بين العقل والنقل-بزعمه!-، كما يريد طرابيشي أن يوهم القارئ، بل جريمتهم الكبرى: أنهم آمنوا بالله ﷻ؛ الذي أوجب طاعة نبيه ﷺ المرسل للعالمين: **العرب وغير العرب، الكتابي منهم وغير الكتابي**.

ولما رأى طرابيشي بنظرته التاريخية ما لعلماء المسلمين: فقهاء ومحدِّثين ومفسرين ومتكلمين من مكانة في الثقافة الجمعية الإسلامية؛ أخذ بالطعن بهم واحدًا تلو الآخر،

فلم يبق ولم يذر!

ولما رأى الجميع متفقين على مرجعية كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ؛ فثارت أصوليته من جديد؛ **لينفي عموم الرسالة المحمدية لجميع الإنسانية، وهي أطروحته المركزية لكتابه**(١).

هذه العقدة-أي: الردة الأولى- ولدت عقدة أخرى وهي: عقدة المقارنات اللاهوتية بين الإسلام ولاهوته الأول، فيلصق بالإسلام كل هرطقة لاهوتية؛ ليقول للقارئ أنه لا فرق بين الإسلام وبين لاهوتي الأول، فكلاهما وقع فيه التحريف والتبديل، فإسلامكم الحقيقي هو: إسلام القرآن، ولكن المحدِّثين حرفوه، وأول تحريف له: جعله دينًا لجميع البشرية.

فعن "**طريق التطوير المتضافر للمدونة الحديثية وللمدونة الفقهية، وبالتالي للمؤسسة الإفتائية؛ بسلطة تشريعية لم يقر بها القرآن للرسول نفسه.**

**وعلى هذا النحو تكون قد نصبت نفسها وسيطة بين الله وبين المؤمنين في**

---

(١) وللأسف! صفق المصفقون لهذا الكتاب بما أسرهم به طرابيشي بأسلوبه الأدبي، وتحليل لكتب التراث؛ حتى قال أحدهم: إنه يفهم في الإسلام أكثر من أعلم عالم دين!! ولم ينتبه المسكين أن غاية طرابيشي من كتابه: نفي عموم رسالة الإسلام للبشرية، وقال أستاذ في العلم الشرعي: أوافق طرابيشي في كثير مما قاله!!

**كل ما جلّ ودقّ من شؤون حياتهم الدينية والدنيوية معًا، مع أن أهم ما يميز الإسلام القرآني عن غيره من الديانات المؤسسة لنفسها في بنى كهنوتية وترتيبات كنسية هو: إلغاؤه لهذه الوساطة، وتأسيسه للعلاقة بين الله والمؤمن في تواصلية مباشرة"**[1].

ولم يذكر لنا كم من صكوك الغفران صرفها الإمام الشافعي والإمام أحمد!!

بل أبعد من ذلك يرى طرابيشي أن ما قام به الشافعي بإثبات وحي السنة يشبه عملية تنصيب المسيح إلهًا ابنًا مشاركًا في الجوهر للإله الأب، ولكن مع فارق **"فبدلًا من تأليه شخص الرسول؛ جرى تكريس المصدرية الإلهية لسنته -أو كلمته حسب التعبير المسيحي الوارث لـ (اللوغوس) الإغريقي-"**[2].

وفي معرض رده على الإمام ابن حزم في إثبات وحي السنة؛ يقول: **"-أي بالاستعارة من اللاهوت المسيحي- ما دام الحديث (مشاركًا في الجوهر) للقرآن من حيث الماهية الوحيية"**[3].

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص١٠٣).

(٢) المصدر السابق، (ص١٩٥).

(٣) المصدر السابق، (ص٣٧٢).

ومن مقارناته: أن **"الغلاة من أهل الحديث والسيرة والفقه ممن أخرجوا الرسول عن نطاقه البشري، وأعطوه امتيازًا متعاليًا على الشرط الإنساني يشبه أو يكاد؛ ذلك الذي أعطته المجامع الكنسية بعد تنصر الأمبراطورية الرومانية للمسيح عندما جعلت له طبيعتين: إلهية، وبشرية"**[(١)]،

وهذه العقدة ذات طبيعة مزدوجة، فهي: تبرر من جهة ردته عن المسيحية، وكذلك تبرر: عدم دخوله في الإسلام، فكيف يدخل فيما فر منه بسبب تحريفه؛ فكلاهما تحرف، ولكن المختلف طريقة التحريف، فعلماء الحديث حرفوا الإسلام بتحويله من إسلام قرآني إلى إسلام حديثي، فيلزم طرابيشي أن يدخل في إسلام القرآن الذي لم يحرف، ولكن العقل التخريجي لطرابيشي يقول: أن من جملة ما حرفه المحدِّثون أنهم: نقلوا الرسالة من الأمة العربية الأمية -التي لا كتاب لها- إلى العالمية، وهذا يجعل العقل التبريري لطرابيشي مرتاح الضمير، لكن اللوثة الأصولية ستبقى متجذرة في نفسه -كما سيأتي بيانه-.

وإذا حاولنا فك عُقد طرابيشي الكثيرة؛ تظهر أمامنا عقدة الراحل محمد عابد الجابري، وهي المحطة الخامسة من محطات طرابيشي الفكرية الانقلابية، **"في المحطّة**

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٤٧٧) في الهامش.

**الخامسة من حياتي: سأتوقف عند عن علاقتي بالراحل محمد عابد الجابري؛ الّذي كرست له ربع قرن من عمري**"[١]، فما علاقة الجابري بموضوع نفي عموم الرسالة المحمدية، وبموضوع التحول من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث؟! ومع ذلك يقحمه طرابيشي في كتابه في عدد من مباحثه، مع أن معركته مع الجابري تتمحور حول مدى عقلانية العقل العربي، والمؤثرات في إقالته أو استقالته.

**وباستراتيجية خلط الأوراق**؛ سيسيطر الجابري على المشهد مرة أخرى، فبعد الحديث عن تعطيل السنة النبوية في الفصل الأول من الكتاب، وتحول الرسالة من رسالة إلى الأميّين إلى رسالة للأمّيّين في الفصل الثاني، يدخل في جدال حول عقلانية الإمام مالك وابن حزم وأبي حنيفة ووسطية الشافعي للرد على الجابري، فالعقلية النصية -بزعمه!- ستبقى نصية؛ سواءً من الكتاب الكريم أو من الحديث الشريف.

فكيف انقلب الكتاب هذا الانقلاب بطريقة غير منهجية؟ وكيف وقع مفكر كطرابيشي -مؤلف عشرات الكتب بطريقة منهجية تميز كتبه من حيث الترتيب والانضباطية- بهذه العشوائية واللامنهجية؟! إنه الهوس الجابري الذي أصابه، وبقي يلاحقه ربع قرن من الزمان!!

---

(١) طرابيشي، (ست محطات في حياتي)، بتاريخ (٢٣/ ٢/ ٢٠١٥م)، موقع «الأثير الإلكتروني» http://www.atheer.om/archives/١١٢٥٧

**تعميد الحداثة:**

**ويبقى السؤال الكبير**: ما علاقة طرابيشي بمثل هذه القضية؟ هل غِيرة طرابيشي على القرآن وأهله جعلته يخوض غمار معركة خسرها من قبله الزنادقة؟ كيف أدخل نفسه في قضية لاهوتية إسلامية -كما يصفها-؟

إنه اللاهوت الأول ؛ الذي زعم أنه ارتد عنه وعليه، ولكنه يخرجه بثوبه الحداثوي.

**ويبقى السؤال الكبير الآخر**: إذا كان طرابيشي قرآنيًّا أكثر من القرآنيين -كما ظهر في عنوان كتابه: «**من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**»- لماذا لم يعمل بما في القرآن؟ ولماذا لم يعلن إسلامه؟!

لقد كان طرابيشي من الحرفنة والذكاء الذي توقع مثل هذا السؤال في ذهن القارئ، فكان جوابه جاهزًا؟

فالقرآن الكريم حق، ولكن النبي ﷺ الذي أنزل عليه القرآن إنما بعث للعرب غير الكتابيّين، فطرابيشي قرآني لأبعد الحدود، فهو ملتزم بما في القرآن، والقرآن ينص -بزعمه!- على أن الرسالة للعرب غير الكتابيين، وأما الكتابيين العرب من يهود ونصارى -وطرابيشي منهم-؛ فجاءهم القرآن بصورة فرعية، لا ليأتيهم بكتاب بديل من كتابهم، بل ليصحح لهم ما حرفوه من الكتاب الذي أوتوه، وليبطل مذهب من ذهب منهم -على سبيل المثال- إلى أن عزير أو المسيح هو ابن الله...

فكل ما هنالك: أنهم مدعوون إلى العودة إلى كتابهم الأصلي[1]، فهو يتمثل القرآن كما أراد القرآن!!

فحقق عددًا من الأهداف بقرآنيته المزعومة: فنفى عموم الرسالة المحمدية لجميع البشرية، وزوّر تاريخ المسلمين بذكر طائفة القرآنيين الموهومة، وهدم حجية السنة التشريعية، وطعن بالأئمة الأربعة وعلماء الفقه والحديث، وأعمل منشاره -بحسب تعبيره- ذهابًا وإيابًا بجميع طوائف الأمة؛ فهي أمة كذب واختلاق، وطهر نفسه من ردته الأولى، وأخيرًا طبع قبلة الحياة على فكر (**اللاقرآنيين**) لإنعاشه من جديد في ثقافة المسلمين؛ مما يثير الفتن بين المسلمين، فلذلك صدقه أشباه العلمانيين والحداثيّين وبعض المساكين!

وخلاصة القول: إن السنة النبوية **ضرورة دينية**، وهذا لا تقبله حداثة طرابيشي وأصوليته، أو أصوليته وحداثته، ولكن من غرر بهم من المسلمين -ولو كانوا حداثيين-، فـ "**ليت شعري! كيف يتصور: أن يكون نزاع في هذه المسألة بين المسلمين؛ وأن يأتي رجل في رأسه عقل، ويقول: أنا مسلم؛ ثم ينازع في حجية السنة بجملتها؟**

---

(١) انظر: طرابيشي، «من إسلام القرآن»، هامش (ص٩٢).

مع أن ذلك مما يترتب عليه عدم اعترافه بالدين الإسلامي كله أوله إلى آخره؛ فإن أساس هذا الدين هو: الكتاب، ولا يمكن القول بأنه كلام الله؛ مع إنكار حجية السنة جملة، فإن كونه كلام الله لم يثبت إلا بقول الرسول -الذي ثبت صدقه بالمعجزة-: "إن هذا: كلام الله وكتابه"، وقول الرسول هذا من السنة التي يزعم: أنها ليست بحجة؛ فهل هذا إلا إلحاد وزندقة، وإنكار للضروري من الدين، يقصد به: تقويض الدين من أساسه؟"[١].

"ونحن في استدلالنا- على عقيدة دينية، أو حكم شرعي- من كتاب الله؛ إنما نستدل بالآية أو ببعضها؛ فلو لم يكن هذا القول من الرسول حجة؛ لما أمكننا الاستدلال بالآية أو ببعضها.

ولا يخفى عليك: أن كون الآية أو بعضها من القرآن أصبح ضرورة دينية؛ لا يسع مسلمًا إنكاره بحال، وكذا الاستدلال بشيء من ذلك على حكم شرعي.

وإذا كان هذان الأمران الضروريان متوقفين على حجية السنة؛ كانت هي -أيضًا- ضرورة دينية، فكيف لمن يعتنق دين الإسلام: أن يُقدِم على إنكار حجيتها، أو الشك فيها؟!"[٢].

---

(١) عبد الغني عبد الخالق، «حجية السنة» (ص٢٤٩-٢٥٠).

(٢) المصدر السابق، (ص٢٥٠).

ومع هذا يصفه بعضهم بـ الكبير! فيكتب: "**ما الذي يجعل جورج طرابيشي كبيرًا**"[١]، فطرابيشي "لم يركن إلى الحقائق المغلّفة، ولا الرؤى الجاهزة، بل كان ثائرًا حتى على ما يطرحه هو!

وهذا النقد المتواصل، وعدم الركون إلى المغلف من الرؤى، وعدم الاطمئنان إلى سلامة الأفكار التي يعيش المرء عليها؛ هو ما ميز طرابيشي؛ الذي نقد نفسه، فتجدد، وكرر الأسئلة على منهجه؛ فتفوق، وهذا ما يصنع الكبار، ويبقي الصغار صغارًا في الفكر والثقافة.

آمن طرابيشي بالكتابة متنفّسًا، وسبيلًا لتغيير أفكار المجتمع، وطبقاته المتكلّسة...".

لكن الحقائق الأصولية المغلفة رجع إليها طرابيشي، وكيميائية الانقلابات الفكرية وثورته النقدية لم تكلسه فحسب بل حنطته برجوعه إلى لحظة الانقلاب الأول؛ حتى يخيل لك وأنت تقرأ ما كتبه عن رسول العرب غير الكتابيّين: أنك تقرأ كتابًا لاهوتيًّا في القرون الوسطى، ولكن بصبغة حداثية، أو على طريقة طرابيشي: **تعميد الحداثة**..

**فهذا هو كبيرهم!!**

---

(١) تركي الدخيل، صحيفة «البيان» الإماراتية:

http://www.albayan.ae/opinions/articles/٢٠١٦-٠٣-٠٩-١.٢٥٩٠٦٣٢.

# الفصل الثاني



## بين
## بولص وطرابيشي

كتب بولص الأنطاكي -أسقف صيدا في القرون الوسطى[١]- كتابًا بعنوان: «**المنطيقي الدولة خاني المبرهن عن الاعتقاد الصحيح والرأي المستقيم**»[٢]، وهو كتاب فيه: الاحتجاج لدين النصارى بما يحتج به علماء دينهم وفضلاء ملتهم -قديمًا وحديثًا- من الحجج السمعية والعقلية[٣].

---

(١) اختلف في زمانه، فيرى محقق كتاب «الجواب الصحيح»: أنه عاش في حوالي القرن الثاني عشر الميلادي، انظر: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لابن تيمية، تحقيق علي بن حسن بن ناصر وعبد العزيز العسكر وحمدان الحمدان، دار العاصمة-الرياض، الطبعة الثانية (١٩٩٩م)، (١/ ٩٩).

وأما موقع «أبرشية صيدا ودير القمر» للروم الملكيين الكاثوليك قال: "حوالي القرن التاسع، يبرز اسم بولس الراهب، أسقف صيدا، ولد في أنطاكية، ثمّ ترهّب، وسيم أسقفًا على مدينة صيدا، وكان عالمًا كبيرًا، وترك كتابات كثيرة قيّمة باللّغة العربيّة، وتوفي في صيدا".

http://melkitesaida.blogspot.com/٢٠٠٧/١٠/blog-post_١٨٩٤.html

(٢) يرى محقق كتاب «الجواب الصحيح»: أن كلمة (خان) فارسية، وتعني: المعظم، (١/ ١٠١)، وعليه؛ يكون معنى العنوان: "كتاب الدولة المعظم والمنطقي؛ الذي يبرهن عن الاعتقاد الصحيح والصراط المستقيم"، وأشار المحقق إلى وجود هذه الرسالة برقم (١٢٥٤) من المتحف القبطي، إلى ورقة رقم (٣) مع اختلاف يسير في الألفاظ. هامش التحقيق (١/ ١٢٣).

(٣) ألّف شيخ الإسلام ابن تيمية كتابه «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» ردًّا على رسالة بولص الأنطاكي، ووصفها في أول الكتاب، انظر: (١/ ٩٨).

والكتاب عمدتهم التي يعتمد عليها علماؤهم في مثل هذا الزمان، وقبل هذا الزمان، وإن كان قد يزيد بعضهم على بعض بحسب الأحوال؛ فإن هذه الرسالة وجدناهم يعتمدون عليها قبل ذلك، ويتناقلها علماؤهم بينهم، والنسخ بها موجودة قديمة[١]، وكتبها بولص الأنطاكي إلى بعض أصدقائه، وله مصنفات في نصر النصرانية.

وذكر أنه لما سافر إلى بلاد الروم والقسطنطينية وبلاد الملافطة وبعض أعمال الإفرنج ورومية، واجتمع بأجلاء أهل تلك الناحية، وفاوض أفاضلهم وعلماءهم، وقد عظّم هذه الرسالة[٢].

وهذا الكتاب سبب تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية لكتابه الفريد «**الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**».

وجاء في الفصل الأول من كتاب بولص: "**أن محمدًا ﷺ لم يبعث إليهم بل إلى أهل الجاهلية من العرب، وأن في القرآن ما يدل على ذلك، والعقل يدل على ذلك**"[٣].

وحسبنا أن نقارن بين ما كتبه الأسقف بولص في القرون الوسطى، وما كتبه

---

(١) انظر: «الجواب الصحيح» (١/ ٩٩).

(٢) انظر: المصدر السابق، (١/ ١٠٠- ١٠١).

(٣) انظر: المصدر السابق، (١/ ١٠١).

طرابيشي في عصر الحداثة؛ لنرى كيف تم **تعميد الحداثة** على يد طرابيشي.

والبداية مع العنوان: فعند بولص القرون الوسطى: **"أن محمدًا لم يبعث إليهم بل إلى أهل الجاهلية من العرب، وأن في القرآن ما يدل على ذلك، والعقل يدل على ذلك"**.

وعند طرابيشي الحداثي: "الفصل الثاني: **من النبي الأمي إلى النبي الأممي**".

فجاهلية العرب يقابلهم عند طرابيشي (الأمّيين العرب)[1]، أما من حيث المنهجية؛ فبولص سيثبت ذلك من القرآن والعقل، وكذلك زعم طرابيشي!

ولنشرع بذكر ما احتجوا به مقارنة بما ذكره طرابيشي؛ كقولهم: أن الكتاب عربي، وليس بلساننا حسب ما جاء فيه[2]، واستدلوا بقوله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢﴾[يوسف:٢].

وهذه القضية يناقشها طرابيشي وبذات الأدلة؛ فيقول: **"وبما أن تلك الأمة (الأمية) التي شاءت لها المشيئة الإلهية أن يتأخر دورها إلى آخر الأمم في تلقي الرسالة؛ تنطق دون سائر الأمم بالعربية، فقل كان حتمًا أن يكون الرسول**

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٩٢).

(٢) انظر: «الجواب الصحيح» (١/ ١٢١).

**المرسل إليها -ليبشرها ولينذرها في آن معًا- ناطقًا بلسان عربي مبين**"[١].

وجاء في كتاب بولص: "**فلما رأينا هذا؛ علمنا أنه لم يأت إلينا بل إلى جاهلية العرب؛ الذين قال: إنه لم يأتهم رسول ولا نذير من قبله، وإنه لا يلزمنا اتباعه؛ لأننا نحن قد أتانا رسل من قبله خاطبونا بألسنتنا وأنذرونا بديننا؛ الذي نحن متمسكون به يومنا هذا، وسلموا إلينا التوراة والإنجيل بلغاتنا؛ على ما يشهد لهم هذا الكتاب الذي أتى به هذا الرجل...**"[٢].

وقالوا: "**ونعلم أن الله عدل، وليس من عدله: أن يطالب يوم القيامة أمة باتباع إنسان لم يأت إليهم، ولا وقفوا له على كتاب بلسانهم، ولا من جهة داع من قبله**"[٣].

وبذات المنطق يناقش طرابيشي الحداثي الموضوع؛ فيقول: "**فالله مرسِل الرسل، هو نفسه من يسنُّ اللغة قاعدة مطلقة لتوصيل الرسالة:** ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾[إبراهيم:٤]"[٤].

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٩١).

(٢) انظر: «الجواب الصحيح» (٢/ ٨٦)

(٣) انظر: المصدر السابق، (١/ ١٢٣) و(٢/ ١٠٢).

(٤) «من إسلام القرآن» (ص٩١).

ويقـول: "**فلـيس لمرسـل الخطـاب أن يطالـب متلقـي بـ (العقـل) عنـه مـا لـم يخاطبه باللغة التي يستطيع أن يعقل بها...**"[١].

وكما أن طرابيشي يرى: أن ادعاء عموم الرسالة المحمدية لم يذكر في القرآن، وإنما على يد أتباع النبي ﷺ من المحدِّثين، وقريب من ذلك يقوله هؤلاء قبل قرون طويلة.

قال ابن تيمية: "إذا عرف هذا؛ فهؤلاء القوم في هذا المقام ادعوا: أن محمدًا ﷺ لم يرسل إليهم بل إلى أهل الجاهلية من العرب، فهذه الدعوى على وجهين،: إما أن يقولوا: إنه بنفسه لم يدع أنه أرسل إليهم، ولكن أمته ادعوا له ذلك، وإما أن يقولوا: إنه ادعى أنه أرسل إليهم وهو كاذب في هذه الدعوى.

وكلامهم في صدر هذا الكتاب يقتضي الوجه الأول"[٢].

وأما المنهجية؛ فهي ذاتها، فإن ما احتجوا به من الآيات غلطوا في معرفة معناها؛ فتركوا النصوص الكثيرة الصريحة في كتابه التي تبين أنه: مرسل إليهم من جنس ما فعلوه في التوراة والإنجيل والزبور وكلام الأنبياء؛ حيث تركوا النصوص الكثيرة الصريحة، وتمسكوا بقليل من المتشابه الذي لم يفهموا معناه[٣].

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٩٦).

(٢) «الجواب الصحيح» (١/ ١٣٠).

(٣) انظر: المصدر السابق، (١/ ١٢٤).

وزعم طرابيشي: أنه لا توجد إلا آية واحدة تشير لعالمية الدعوة الإسلامية؛ فيقول: **"فجميع المؤولين الذين أرادوا تحويل النبي (الأمي) إلى نبي (أممي)، أي: نبي أمم الأرض كافة، وليس فقط نبي الأميّين العرب المرسل بلسانهم منهم وإليهم؛ ما استطاعوا أن يفوزوا في آي القرآن الستة آلاف ونيف جميعها إلا بآية واحدة، هي: الآية الثامنة والعشرون من سورة سبأ:** ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[سبأ:٢٨]"[١].

هكذا يقول طرابيشي؛ أنه لا توجد في القرآن الكريم إلا آية واحدة!! ثم أخذ يتلاعب بتفسير الآية حسب هواه، وبطريقة انتقائية من كلام المفسرين![٢].

أما ابن تيمية؛ فيقول: "وفي القرآن من دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن دعوة المشركين وعبدة الأوثان، وجميع الإنس والجن؛ ما لا يحصى إلا بكلفة.

وهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام؛ فكيف يقال: أنه لم يذكر أنه بعث إلى العرب خاصة؟ وهذه دعوته ورسله وجهاده لليهود والنصارى والمجوس بعد المشركين، وهذه سيرته ﷺ فيهم؟

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٩٥).

(٢) المصدر السابق، (ص٩٥ وما بعدها).

وأيضًا فالكتاب متواتر عنه -وهو: القرآن- يذكر فيه دعاءه لأهل الكتاب إلى الإيمان به في مواضع كثيرة جدًّا"[١]، ثم ساق الآيات الدالة على ذلك، ومنها: آية سورة سبأ التي زعم طرابيشي أنها الآية الوحيدة في الموضوع، وذكر قوله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[الأعراف:١٥٨].

ولا شك أن طرابيشي قرأ آية سورة الأعراف، وهو يعلم مطلق مدلولها لجميع البشر، ولكنه مارس إقصاءً متعمدًا لعقل القارئ؛ ليوهمه أنه لا توجد إلا آية واحدة في إثبات عالمية الدعوة الإسلامية!

ولا شك أن طرابيشي قرأ الآية التي قبلها في سورة الأعراف؛ والتي تنص نصًّا على دعوة أهل الكتاب تحديدًا، وإثبات تبشير التوراة والإنجيل بالنبي ﷺ، قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ

---

(١) «الجواب الصحيح» (١/ ٣٣٦- ٣٣٧).

وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[الأعراف: ١٥٧].

ومما يدل على تعمد طرابيشي إقصاء آيات سورة الأعراف: قوله في تفسير معنى الأمي: "**ومن أصلًا توصيف القرآن في آيتين متتاليتين من سورة الأعراف (١٥٧، ١٥٨) للرسول محمد بأنه: (النبي الأمي)، أي: ذاك الذي بعثه الله (في الأمِّيين)، وإلى الأمِّيين**"[(١)]، فهو قرأ الآيتين، ولكنه أخفى أول الآية: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف:١٥٨].

فوصف الله ﷻ أهل التوراة والإنجيل في حال اتباعهم النبي ﷺ بالمفلحين، ولكنه أبى الفلاح لنفسه! وحرّف معنى الآية الواضحة، لكي لا يفلح الآخرون، وللأسف صدقه بعضهم، وعلى رأسهم: القرآنيين[(٢)] -بزعمهم!-، وفات هؤلاء أن ما ذكره

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٩٠).

(٢) فقال أحدهم على موقع «أهل القرآن»: "أعزائي القراء! لقد قرأت كتاب الأستاذ جورج طرابيشي «من إسلام القرءان إلى إسلام الحديث»؛ فوجدت أنه جدير بالقراءة، لما فيه من مفاتيح للقلوب المقفلة، لكن القلوب الصدئة لا أعتقد أنها تصبر على قراءة هذا الكتاب؛ الذي يترك القارئ حائرًا لما فيه من الحق والبيان، فقد بين الأستاذ جورج طرابيشي الأسباب التي حولت الإسلام (من إسلام القرءان إلى إسلام الحديث)، وهو الشيء الذي جعل المسلمين اتبعوا السبل؛ فتفرقوا شيعًا =

طرابيشي يخالف أول ما يخالف: القرآن الكريم.

ولكن كما قلنا؛ فإن طرابيشي اتخذ من القرآنية المزعومة وسيلة للطعن في القرآن، أولًا: بطريقة مبطنة، ثم أخذ بالطعن بعلماء الحديث؛ لأنهم حولوا الإسلام من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث، والآية صريحة كل الصراحة بدعوة أهل الكتاب وطرابيشي منهم؛ وخاصة بعد ردته العكسية من الهرطقة إلى الأصولية، ولكنه أبى أن يكون من المفلحين!

ومن الآيات التي تخاطب طرابيشي وغيره: قوله ﷻ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾﴾ [البيِّنة:١-٢]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[الأنبياء:١٠٧]، لكن طرابيشي أبى رحمة الله، وحاول إغلاق باب الرحمة عن الآخرين؛ بزعمه أن مثل هذه الآيات لا تعنيه بشيء!

وأما احتجاج طرابيشي وبولص بأن القرآن الكريم أنزل بلسان عربي؛ فعليه تكون

---

= بغيًا بينهم؛ بعد ما جاءهم العلم والكتاب المبين.

لذا أنصح بتنزيل الكتاب وقراءته بقلب سليم؛ لعله ينفع أولي الألباب الذين يعقلون". بتاريخ (١١/ ١٢/ ٢٠١٣م):

http://www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php?main_id=١١٥٥٩

دعوة النبي ﷺ خاصة بالعرب، فيقال: والتوراة إنما أنزلت باللسان العبري وحده، وموسى عليه السلام لم يكن يتكلم إلا بالعبرية، وكذلك المسيح لم يكن يتكلم بالتوراة والإنجيل وغيرهما إلا بالعبرية، وكذلك سائر الكتب لا ينزلها الله إلا بلسان واحد: بلسان الذي أنزلت عليه، ولسان قومه الذين يخاطبهم أولًا، ثم بعد ذلك تبلغ الكتب وكلام الأنبياء لسائر الأمم؛ إما بأن يترجم لمن لا يعرف لسان ذلك الكتاب، وإما بأن يتعلم الناس لسان ذلك الكتاب فيعرفون معانيه[١].

"والله تعالى قال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[إبراهيم: ٤]، لم يقل: وما أرسلنا من رسول إلا إلى قومه، لكن لم يرسله إلا بلسان قومه الذين خاطبهم أولًا؛ ليبين لقومه، فإذا بين لقومه ما أراده حصل بذلك المقصود لهم ولغيرهم، فإن قومه الذين بلغ إليهم أولًا يمكنهم أن يبلغوا عنه اللفظ، ويمكنهم أن ينقلوا عنه المعنى لمن لا يعرف اللغة ،ويمكن غيرهم أن يتعلم منهم لسانه؛ فيعرف مراده.

فالحجة تقوم على الخلق، ويحصل لهم الهدى بمن ينقل عن الرسول: تارة المعنى، وتارة اللفظ، ولهذا يجوز نقل حديثه بالمعنى، والقرآن يجوز ترجمة معانيه لمن لا يعرف العربية؛ باتفاق العلماء"[٢].

---

(١) انظر: ابن تيمية، «الجواب الصحيح» (٢/ ٥٢).

(٢) المصدر السابق، (٢/ ٥٤– ٥٥).

**بين يوحنا الدمشقي وجورج الحلبي:**

جذور طرابيشي الأصولية ضاربة بعمق لأبعد من زمن بولص الأنطاكي؛ فهي متصلة بيوحنا الدمشقي[١]، فعندما تقرأ لجورج طرابيشي -ابن حلب في الألفية الثالثة- عن النبي ﷺ؛ وخاصة عما يسميه: بـ "**علاقاته الزوجية، ورغائب نفسه الجنسية**"[٢]، وتحليله لقصة زواج النبي ﷺ من أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها بما يقارب ثلاث صفحات؛ لا يسعك إلا أن ترجع بالذاكرة إلى القرن الثامن الميلادي لاستحضار ما كتبه يوحنا الدمشقي في «هرطقاته المئة»، والتي ذكر منها تلك القصة ليطعن بنبي الإسلام، بل إن طرابيشي فاق قديسه الأول؛ فيتحدث بسخف عن ما أطلق عليه: حبه الأول، فيذكر أم هانئ رضي الله عنها بقوله: "**التي يستفاد من كتب السيرة أنها كانت: (حبه الأول)**"!![٣]

---

(١) وهو: منصور بن سرجون المعروف بيوحنا الدمشقي (٣٥هـ-١٣٢هـ/ ٦٥٥م-٧٥٠م)، كان يعمل لدى الأمويين، راجع تفاصيل حياته: «منصور بن سرجون المعروف بالقديس يوحنا الدمشقي»، تأليف: الإكسر خوس جوزف نصر الله، تعريب: أنطون وهبي، المكتبة البولسية- بيروت، الطبعة الأولى (١٩٩١م)، وكتاب «يوحنا الدمشقي (رائد العدوان الفكري على الإسلام)»، د. علي بن محمد الغامدي، الطبعة الأولى (١٤٣٦هـ-٢٠١٥م)، منشور على الموقع الرسمي للدكتور علي الغامدي: http://alghamdiprof.com/ali/.

(٢) «من إسلام القرآن» (ص٤٣).

(٣) المصدر السابق، (ص٤٦).

وقال يوحنا الدمشقي تحت عنوان: (**النساء**): "فقد كان لمحمد عشير اسمه: زيد، وكان لهذا الرجل امرأة جميلة شغف بها محمد! وعندما كانا جالسين معًا قال محمد: يا صاح! لقد أعطاني الله أمرًا باتخاذ امرأتك لي، فأجاب زيد: إنك رسول الله! فافعل كما قال لك الله، واتخذ لك امرأتي.

وحتى نباشر القصة منذ بدايتها بأكثر دقة: قال له محمد: لقد أعطاني الله أمرًا بأن تطلق امرأتك؛ فطلَّقها، وبعد بضعة أيام قال له: لقد أعطاني الله أمرًا بأن اتخذها لنفسي، وبعد أن اتخذها و... معها في هذه الحال، أصدر هذا القانون: من يرغب في أن يطلق امرأته؛ فليفعل، أما إذا عاد إليها بعد تطليقها؛ فليتزوجها آخر، إذ ليس مسوغًا في الواقع أن يتخذها ما لم يتزوجها آخر قبل ذلك، وإذا كان من طلقها أخًا؛ فليتزوجها أخوه إن رغب في ذلك"[(١)].

وطرابيشي ادعى: أن الإسلام تحول من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث، فكان يلزمه أن يأخذ تفسير الآية الكريمة من سياقها القرآني، قال ﷻ: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾

---

(١) «الهرطقة المئة»، القديس يوحنا الدمشقي، (١٩٩٧م)، دون ذكر لدار النشر، (ص٥٦-٥٧).

[الأحزاب:٣٧].

فالآية تتحدث عما أخفاه النبي ﷺ من إمر الله ﷻ لنبيه ﷺ من زواجه من زينب بعد طلاق زيد بن حارثة له، وأن سبب ذلك: لإبطال ما كان عليه أهل الجاهلية من منع ذلك.

وهذا جلي في قوله ﷻ: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾[الأحزاب:٣٧]، وجورج يعلم ما تدل عليه كلمة ﴿لِكَيْ﴾ التعليلية، ولكنه ينقض عنوان كتابه: (**من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**)، فيلجأ إلى روايات منقطعة وواهية؛ ليحول تفسير الآية من مدلولها القرآني إلى مدلول يتوافق مع أصوليته الطاعنة بالنبي ﷺ.

فلا فرق بين ما قاله يوحنا الدمشقي وجورج الحلبي!! االلهم إلا الأسلوب الحداثي الذي يصبغه طرابيشي لكتاباته، وبدلًا من الرجوع إلى المصادر الحديثية المعتمدة في الرواية كـ «الصحيحين» وغيرهما؛ يجد ضالته في روايات منقطعة الأسانيد عند الإمام الطبري وأهل السير، وروايات لا قيمة لها عند ابن سعد من طريق الواقدي؛ الذي اتهمه علماء الحديث، ووصفوه بأنه متروك الرواية، شديد الضعف، فيقول: "**وسيكون عمادنا الأول في استقصاء مدلول هذه الآيات وظروف نزولها -فضلًا عن الطبري- على: ابن سعد؛ الذي أفرد الشطر الأكبر من الجزء الثامن من «طبقاته»**

لموضوع: (نساء النبي)"[١].

إذًا؛ عماده الأول :الروايات، وليس النص القرآني الواضح في مدلول الآيات.

فمن حوّل طرابيشي من قرآني ينتصر للقرآن، وينفي تشريعية السنة إلى: باحث عن الروايات لفهم القرآن؟!!

ومن حوّل طرابيشي إلى أهل السير والمغازي؛ وهم -كما ينقل عن أهل الأصول-: "**أضعف خلق الله أركانًا بأصول الفقه والتفسير**"؟[٢].

إنها: الأصولية المتجذرة في نفس طرابيشي؛ فهو قرآني متى شاء، وروائي متى شاء! فلا تحركه إلا أصوليته التي ارتد عنها بثوب الحداثة.

ثم إن الإمام الطبري أورد رواية واضحة عن زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما تبين أن الذي أخفاه النبي ﷺ هو: ما أمره الله به من الزواج من زينب رضي الله عنها، وهذا أقرب للسياق القرآني للحدث، فلماذا يتعمد طرابيشي إخفاء ذلك إن كان قرآنيًّا!! ولماذا يلجأ لمرويات لا قيمة لها تخدش في مقام النبوة، وتعارض النص القرآني الذي كان ينتصر له قبل صفحات بل عنون كتابه به؟!! فيقول: "**ويعطي ابن سعد عن الحادثة مزيدًا من التفصيل؛ فيقول: جاء رسول الله ﷺ بيت زيد بن حارثة يطلبه... فلم يجده...،**

(١) «من إسلام القرآن» (ص٤٣).

(٢) المصدر السابق، (ص٢١١).

وقامت إليه زينب بنت جحش فضلًا -أي: متبذلة في ثوب واحد-؛ فأعرض رسول الله عيناه، فقالت: ليس هو ههنا يا رسول الله! فادخل بأبي أنت وأمي.

فأبى رسول الله أن يدخل، وإنما عجلت زينب أن تلبس لما قيل لها: رسول الله على الباب، فوثبت عجلى، فأعجبت رسول الله، فولى وهو يهمهم بشيء لا يكاد يفهم منه؛ إلا ربما: سبحان الله العظيم، سبحان مصرف القلوب...

فجاء زيد إلى منزله، فأخبرته امرأته أن رسول الله أتى منزله، فقال زيد: ألا قلت له أن يدخل؟ قالت: قد عرضت عليه ذلك؛ فأبى، قال: فسمعت شيئًا؟ قالت: سمعته حين ولى تكلم بكلام لا أفهمه! وسمعته يقول: سبحان الله العظيم، سبحان مصرف القلوب.

فجاء زيد حتى أتى رسول الله؛ فقال: يا رسول الله! بلغني أنك جئت منزلي، فهلا دخلت؟ بأبي وأمي يا رسول الله! لعل زينب أعجبتك فأفارقها.

فيقول رسول الله: أمسك عليك زوجك.

فما استطاع زيد إليها سبيلًا بعد ذلك اليوم، فيأتي إلى رسول الله؛ فيخبره، فيقول رسول الله: أمسك عليك زوجك! فيقول: يا رسول الله! أفارقها..."[1].

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٤٤-٤٥).

ولعل الرواية أعجبت طرابيشي! فترك قرآنيته المزعومة من أجلها، فلم ينقدها بحرف واحد بل ذكرها بمنتهى التسليم؛ لما فيها لموافقته هواه للطعن في النبي ﷺ وبأم المؤمنين وبأخلاق الصحابة الكرام!!

وهكذا قدّم عقل طرابيشي استقالته أو أقاله طرابيشي لتحقيق مآربه، وعطّل حسه النقدي؛ فلم يفكر بعقله وهو ينقل هذه الرواية، فهو فضلًا عن تنازله عن مبدأ قرآنيته التي يحث المسلمين للتمسك بها، وأن لا ينصرفوا إلى إسلام الحديث؛ فهو يتنازل عن أهم مبادئ الحداثة بإعمال العقل، ولكنها الأصولية الحداثية!

والرواية من حيث السند من طريق محمد بن عمر قال: "حدثني عبد الله بن عامر الأسلمي عن محمد بن يحيى بن حبّان قال: جاء رسول الله ﷺ...الحديث"[1]، ومحمد ابن عمر هو الواقدي: متهم عند علماء الحديث، وطرابيشي يعلم ذلك؛ حيث نقل بعد فصول عن علماء الحديث تضعيفهم للواقدي: "**فقد قال عنه البخاري والرازي والنسائي: متروك، وقال عنه الدارقطني: ضعيف، وقال ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة، والبلاء منه، وكان أحمد بن حنبل أشدهم عليه؛ إذ رماه بأنه:**

---

(١) ابن سعد: أحمد بن منيع بن سعد، «الطبقات الكبرى»، تحقيق محمد عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، (١٩٩١م)، (٨/ ٨٠).

كذاب"[١].

ولكنه -هنا!- تعجبه رواية الواقدي!

والرواية منقطعة الإسناد؛ فمحمد بن يحيى بن حبّان الأنصاري من التابعين، ومولده في سنة سبع وأربعين، وزينب بنت جحش رضي الله عنها توفيت في عهد عمر رضي الله عنه.

وأما المتن؛ فهو ظاهر البطلان، ولكن طرابيشي استروح ذلك، وأقال عقله عن التفكير به؛ لحاجة في هوى نفسه! فهل يعقل لامرأة عربية قرشية مسلمة صوامة قوامة متصدقة مثل زينب بنت جحش أن تظهر أمام رجل أجنبي عنها بهذا الشكل المتبذل!!

وهل يعقل أن رجلًا عربيًّا مسلمًا يسأل رجلًا آخر عن زوجته بعد أن رآها بهذه الهيئة أن يقول له: هل أعجبتك؟!! أين مروءة العرب وغيرتهم!!؟ لماذا لم يُعمل طرابيشي حسه النقدي في تعامله مع هذه الرواية؟!!

إنها الجذور الأصولية ليوحنا الدمشقي؛ التي لم يستطع ابن حلب الطرابيشي أن يتخلى عنها! ولكنه ألبسها ثوب الحداثة، وغلفها بما زعمه من القرآنية، فانطلت أفكاره على البعض! ولكن أصوليته غلبت قرآنيته، بل لم تكن دعوته للقرآنية إلا طريقًا لتحقيق أصوليته، وكذلك حداثويته التي عاشها لعقود يختمها بأصولية تذكرنا بسخرية أخي طرابيشي منه يوم قال: "**وتديّنت تديّنًا مفرطًا في الطور الأوّل من مراهقتي، وكنت**

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٢١٣).

**أؤدي كلّ واجباتي الدينية بحساسية تثير حتّى سخرية أخي الأصغر منّي"[١].**

**مؤامرة هُشَيْم:**

من المفارقات فيما يكتب طرابيشي: الأحكام القطعية التي يصدرها، وكأنه امتلك الحقيقة المطلقة فيما يكتب! ليمتلك عقل وقلب القارئ، ورأينا كيف أنه صور لنا أن القرآن الكريم لم يذكر عالمية الإسلام؛ فقال: **"فجميع المؤولين الذين أرادوا تحويل النبي (الأمي) إلى نبي (أممي)، أي: نبي أمم الأرض كافة، وليس فقط نبي الأميّين العرب المرسل بلسانهم منهم وإليهم، ما استطاعوا أن يفوزوا في آي القرآن الستة آلاف ونيف جميعها إلا بآية واحدة، هي: الآية الثامنة والعشرون من سورة سبأ:** ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[سبأ:٢٨]"[٢].

ثم رأينا الآيات الكثيرة التي طواها طرابيشي عن القارئ؛ليوهمه بحقائقه المطلقة، ولعبة الأرقام يتقنها طرابيشي في أكثر من موضع؛ فيرى أن عائشة رضي الله عنها: **"وهي الأكثر صحبة للرسول والأكثر حميمية، والتي لم يكن لها شاغل من تجارة أو صفق**

(١) طرابيشي (ست محطات في حياتي)، بتاريخ (٢٣/ ٢/ ٢٠١٥ م)، موقع «الأثير الإلكتروني»: http://www.atheer.om/archives/١١٢٥٧

(٢) «من إسلام القرآن» (ص٩٥).

**بالأسواق، ومع ذلك لم تروِ أو لم يروى على لسانها سوى أقل من خمسين حديثًا"**[١]، ومن المعلوم: أن مسند عائشة ﵂ يزيد عن ألفي حديث، ولكن طرابيشي يتلاعب بالأرقام؛ ليطعن بسعة رواية أبي هريرة ﵁!

وبذات المنهج يمضي طرابيشي في تكذيب الأحاديث الدالة على عالمية الدعوة الإسلامية، وبمؤامرة من الموالي؛ فيقول: **"والواقع أنه في كتب الحديث -وليس في القرآن- تم تحويل النبي الأمي المرسل إلى قومه إلى نبي أممي مرسل إلى الأمم قاطبة.**

**ففي رواية على لسان هُشيم بن بشير: أن النبي ﷺ قال: «كان النبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبُعثت إلى الناس عامة»"**[٢].

ثم بين طرابيشي في الهامش: أن هذا النص من «صحيح البخاري»، ثم يذكر رواية مسلم للحديث قائلًا: **"ويستعيد صاحب ثاني «الصحيحين» الرواية نفسها عن الراوي نفسه، ولكن مع تبديل في اللفظ الدال على البعد الأممي للرسالة: «كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود»"**[٣].

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٣٩٨).

(٢) المصدر السابق، (ص٩٨).

(٣) المصدر السابق، (ص٩٩).

ولكن أصولية طرابيشي لا تمنعه من إخفاء رواية أخرى بعد رواية هُشيْم مباشرة؛ تبين أن: هُشيمًا لم ينفرد في الرواية، ولكن من فعل ذلك في الآيات القرآنية كيف لا يفعلها مع روايات الحديث؟! فيقول أن هُشيْمًا تفرد بتينك الروايتين[١].

ولكن هل تفرد هُشيْمٌ بتينك الروايتين كما زعم طرابيشي؟!!

قال الإمام مسلمٌ: "حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ سَيَّارٍ، عَنْ يَزِيدَ الْفَقِيرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَيِّبَةً طَهُورًا وَمَسْجِدًا؛ فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ صَلَّى حَيْثُ كَانَ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ»**"، ثم قال: "وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا هُشيْم: أخبرنا سيار: حدثنا يزيد الفقير: أخبرنا جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ قال؛ فذكر نحوه"[٢].

ثم بعد حديث جابر رضي الله عنه من طريق هُشيْم بحديث واحد: قال الإمام مسلم:

---

(١) انظر: «من إسلام القرآن» (ص٩٩).

(٢) «صحيح مسلم»، (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا)، حديث رقم (٥٢١).

"وحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل -وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ-، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: **«فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»**"[1].

فتبين أن هُشَيْمًا لم ينفرد بالرواية؛ كما يقول طرابيشي، فالحديث له طريق آخر من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، فبطل ما ادعاه! أو ما أخفاه!!

ولكن يبقى السؤال: لماذا اختار طرابيشي أن ينسب الحديث لهُشَيْم دون غيره من الرواة؟ وأنت ترى أن هُشَيْمًا في الطبقة الرابعة بعد النبي ﷺ، فهو يريويه عَنْ سَيَّارٍ، عَنْ يَزِيدَ الْفَقِيرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ...الحديث، فماذا بين طرابيشي وهُشَيْم؟!!

إنه التكتيك الطرابيشي لأصابة عدة عصافير بحجر واحد:

وعصفوره الأول: أن هُشَيْمًا كان مدلسًا؛ فالطعن فيه من هذا الباب سيمر مرور الكرام على القارئ بفعل قوة قلم طرابيشي المغناطيسية، ورغم أن علماء الحديث هم عدو طرابيشي الأول، لكن لا بأس بالأخذ منهم أو بما يسميه طرابيشي بـ **"المأثور**

---

(١) حديث رقم (٥٢٣).

**الرجالي**"؛ نسبة لعلم الرجال الذي أبدعه علماء الحديث، مما يدل على ورعهم وإنصافهم، فهم لا يجاملون أحدًا.

لكن كلمة (**مدلس**) و(**التدليس**) فتحة شهية طرابيشي للطعن في هُشيم، ولا أظن طرابيشي لا يعلم المعنى الإصطلاحي للكلمة عند المحدِّثين؛ فاستعمل المعنى اللغوي لها، فتدليس هُشيم يعني: أنه كان يروي عن شيخ ما بواسطة، فلا يذكر هذه الواسطة؛ إما لضعفه، أو لصغر سنه، وإنما يقول عن فلان -وهو صادق في ذلك-، ولكنه لا يقول: حدثنا أو أخبرنا، وهذا كذب لا يستجيزه، ولو فعله لعده المحدثون من الكاذبين، فلذلك اشترط المحدثون على الرواة الثقات المدلسين من أمثال هُشيْم: أن يصرحوا بالسماع ممن حدثهم، فإذا قال: حدثنا أو أخبرنا؛ قُبِل منهم.

وهُشيْم: إمام ثقة ثبت، ولكنه كان يدلس بهذه الطريقة، وطرابيشي عامدًا أم غير عامد لم يكمل ما قاله ابن سعد في هُشيْم؛ فاجتزأ الشطر الأول الذي يناسبه، وهو بقوله: "**كان ثقة كثير الحديث، يدلس كثيرًا**"[(١)]، والذي عند ابن سعد: "هُشَيْم بن بشير، ويكنى أبا معاوية، مولى لبني سليم، وكان ثقة كثير الحديث **ثبتًا**، يدلس كثيرًا. فما قال في حديثه: أخبرنا؛ فهو حجة، وما لم يقل فيه: أخبرنا؛ فليس بشيء"[(٢)].

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٩٩).

(٢) «الطبقات الكبرى» (تسمية من نزل بواسط من الفقهاء والمحدثين)، (٧/ ٢٢٧) ترجمة رقم =

فلم يذكر طرابيشي كلمة (**ثبتًا**)، وهي تدل على مكانته في العلم والضبط، فهو ليس بثقة فحسب بل هو (ثَبت).

والأمر الثاني الذي لم يذكره طرابيشي من كلام ابن سعد قوله: "**فما قال في حديثه: أخبرنا؛ فهو حجة، وما لم يقل فيه: أخبرنا؛ فليس بشيء**"، فهذه طريقة التعامل مع رواية المدلسين الثقات من أمثال هُشيْم، حيث صرح هُشيْم بسماعه الحديث من شيخه سيار؛ كما في رواية مسلم الثانية للحديث، فزالت تهمة التدليس عنه، لكن طرابيشي لما رأى كلمة "كثير التدليس" طار بها فرحًا ليُدلِس على القارئ، ويفهمه أن هُشيْمًا: "**كانت آفته الكبرى في الحديث: التدليس؛ إذ كان في الروايات التي يرويها مرفوعة إلى رسول الله يبدل في أسماء سلسلة الإسناد، فيضع بدل المجهولين أسماء أعلام مشهورين، وبدل المجروحين أسماء أعلام معدلين**"[(١)].

وهذا الذي ذكره طرابيشي يسمى بـ (تدليس التسوية)، وهذا لا يفعله هُشيْمٌ، فدلّس طرابيشي على القارئ بهذا؛ ليمرر طعنه في هشيم، وقد يقال: إن هذه مسألة متخصصة في علوم الحديث فربما غابت عن طرابيشي، ولكن طرابيشي نقل بعد فصول عن الإمام ابن الصلاح تعريف الحديث المدلَّس: "**أن يروي المدلس عمن لقيه ما لم يسمعه**

---

= (٣٤٢٢).

(١) «من إسلام القرآن» (ص٩٩).

**منه؛ موهمًا أنه سمعه منه، أو عمن عاصره ولم يلقه؛ موهمًا أنه قد لقيه وسمع منه"**(١)، فتعمد تحريف معنى التدليس مع علمه به.

وأما العصفور الثاني الذي ظن طرابيشي أنه وقع في فخه: أن هُشيْمًا كان من موالي بني سليم -إحدى قبائل العرب-، فالحديث عن عالمية الإسلام يخدم موقعه الاجتماعي بالمساواة بين العرب وغيرهم، وبين الأسود والأحمر والأبيض، وهذا مبدأ إسلامي يوافق حداثوية طرابيشي؛ فلماذا يتنازل طرابيشي عن مبادئه؟

والجواب: أن ذلك يعارض أصوليته التي ادعى أنه ارتد عنها نحو الحداثة، فأصوليته المتأصلة بيوحنا الدمشقي ومرورًا ببولص الأنطاكي تأبى ذلك، ثم لإثبات ما ذكره من سلسلة الانقلابات والمؤامرات التي قام بها علماء الحديث لقلب الإسلام من **إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**، وبمشاركة الموالي وأصحاب البلاد المفتوحة؛ كما ذكر في هذه المؤامرة، وحيث أن المحدِّثين هم من حولوا النبي الأمي إلى نبي أممي، وحيث أن هُشيْمًا مُحدِثًا ومن الموالي؛ فهذه أنسب عَينة يمكن اختيارها لإثبات نظرية المؤامرة الحديثية على الإسلام؛ فيقول: **"من هذا المنظور حصرًا ليس جزافًا أن نكون توقفنا عند توصيف ابن سعد في «طبقاته» لهشيم بن بشير بأنه كان "مولى لبني سليم"، فالغالبية الساحقة من رواة السنة ومن مدوني السنة كانوا من**

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٩٩) الهامش.

الموالي، أي :من أعاجم البلدان المفتوحة؛ بدءًا بمصنفي «الصحيحين»: البخاري ومسلم بن الحجاج"[١].

وتمضي المؤامرة الفارسية على إسلام القرآن لتحويله إلى إسلام سنة!! "ذلك أنه ما كان لنار النزعة الإثنية الفارسية أن تخمد تحت رماد الإسلام، فالإسلام الذي حُمل إلى أعاجم البلدان المفتوحة، وفي مقدمتهم: الفرس؛ كان إسلام قرآن، لا يد لهم فيه، وما أُنزل أصلًا برسمهم.

وبالمقابل؛ إن الإسلام الذي أعادوا تصديره إلى فاتحهم كان: إسلام سنة، كانت لهم اليد الطولى في إنتاجه..."[٢].

وأما نتائج هذه المؤامرة الأعجمية على الإسلام، فهي: "تطوير سنة نبوية إلهية المصدر لا يكون فيها (فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى). فليس أرضى أكبرياء المحكومين -إن كان لا يزال لاسم المفعول هذا من معنى- من أن يكونوا محكومين بتشريع إلهي المصدر؛ ولا سيما إذا كانوا هم الشركاء الرئيسيين في تشريع هذا التشريع، وعلى هذا النحو فحسب نستطيع أن نفهم

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص١٠١-١٠٢).

(٢) المصدر السابق، (ص١٠٣).

**تلاقي المصالح بين نخب الفاتحين ونخب البلدان المفتوحة في تأميم الرسول العربي"**[١].

وهذه مخالفة أخرى لما يزعمه طرابيشي من قرآنية جعلها عنوانًا لكتابه، فعدم التفضيل بين الناس إلا بالتقوى قانون قرآني قبل وروده في السنة المطورة -كما زعم!-، وهي دعوة إلهية للتعايش والتعارف بين الشعوب، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[الحُجُرات:١٣].

وخلاصة القول: أن حديث: «**كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ**»، حديث صحيح، لا مطعن فيه، وهو موافق لما جاء في كتاب الله ﷻ من عموم الدعوة الإسلامية لجميع البشرية.

وأن هُشَيْمًا: ثقة ثَبْتٌ، وصرح بسماعه عن شيخه؛ فزالت تهمة التدليس عنه، وأنه لم ينفرد به كما قال طرابيشي، وهو يمثل دعوة المساواة ونبذ العنصرية التي جاء بها الإسلام، وليس كما يقول طرابيشي: "**وهكذا؛ إن حديثًا لم يكن متداولًا ولا معروفًا، ولا حتى ذا وجود، وما رواه أحد قبل أن يرويه راويه المنفرد والمشهور**

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص١٠٦).

**بالتدليس في النصف الثاني من القرن الثاني، (بالنظر إلى أن هُشيْم بن بشير توفي سنة (١٨٣ هـ)، أمكن له أن (ينسخ)، أي: يبطل حكم نحو من عشرين آية قرآنية"[١].**

ومما سبق يتضح للقارئ: أن مصدر طرابيشي الأول فيما كتب «من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث» هي: أصوليته الأولى.

وأما مصدره الثاني؛ نوضحه للقارئ الكريم في الفصل الآتي.

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص١٠٠).



# الفَصْلُ الثَّالِثُ





القارئ لكتاب «**من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**» يظهر فيه طرابيشي للوهلة الأولى أنه: قرآني، ولكنها قرآنية غائية، اتخذها جسرًا للطعن بالإسلام قرآنًا وسنةً ومنهجًا وتراثًا، وطرابيشي -الناقد الأدبي والفلسفي- يتقن لعب الأدوار جميعها؛ ولا سيما الأدوار المركبة المعقدة، وهذا يناسب إنتاج دراما بحجم مسلسل «نقد النقد»؛ الذي كتب قصته وأنتجه وأخرجه: جورج طرابيشي، فهو قرآني، ولكنه غير مطالب أن يؤمن بالقرآن؛ لأن القرآن لم ينزل لأمثاله.

وهو يتهم أشهر خصومه الراحل الجابري بأنه يقوم بدور **المستشرق الداخلي "الذي يروج في الحقل التداولي للثقافة العربية لأخطر الدعاوى الإبستمولوجية للمركزية الأوروبية"**[١]، وعليه؛ فإن الثقافة العربية المعاصرة باتت محاصرة بين نارين: **نار الاستشراق الخارجي، ونار الاستشراق الداخلي**[٢].

وطرابيشي يلعب دور الاستشراق: الداخلي والخارجي، ولكن بطريقة خفية، بما يمكن أن يسمى: "**استشراق باطني**"، فأتقن دور المستشرق بثوب ناقد التراث، فالطعون التي أثارها حول السنة النبوية وحول شخص النبي ﷺ ابتلعها من فتات

---

(١) «نقد نقد العقل العربي»، بيروت، دار الساقي، الطبعة الأولى، (٢٠٠٤م)، (ص٣٢).

(٢) انظر: المصدر السابق، (ص٥٢).

المستشرقين ونظرياتهم، **فالقلم قلم طرابيشي، والخطاب خطاب استشراقي،** أخرجه بأسلوبه وسلاطة لسانه، وأما المنهجية فهي ذات المنهجية التشكيكية المضللة، مع تطوير للنظريات الاستشراقية، وتفصيل في تطبيقها، بل إن فكرة كتاب «**من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**»: فكرة استشراقية بدأها المستشرقون بإظهار "حزب موالاة" و"حزب معارضة "، بين أهل الحديث وأهل الرأي، ولكن خيال طرابيشي طورها بين حزب " أهل القرآن " و" أهل الحديث ".

والمستشرقون كانوا أكثر ذكاءً من صاحبنا جورج طرابيشي؛ لوجود أهل الحديث وأهل الرأي من الناحية التاريخية، ولكنه لم يصل لحد الصراع والتنافس السياسي لتحويلهم لحزب معارضة وموالاة!!

لذلك ادعاء وجود (حزب معارضة Opposition Party) -كما يذكر لنا شاخت- خيالي! لا يمت إلى دنيا الواقع بشيء.

والقول بمعاداة الفقهاء للسنة النبوية، وكون الأحاديث الفقهية كلها موضوعة، ونشوء الصراع بين المدارس الفقهية القديمة وأهل الحديث؛ من نتاج تخيل عقلية غريبة عن فهم المجتمع الإسلامي[١].

---

(١) الأعظمي، محمد مصطفى الأعظمي، «دراسات في السنة النبوية»، المكتب الإسلامي-بيروت، (١٩٩٢)، (٢/ ٤٤٧).

أما طرابيشي؛ فأعلن إفلاسه ابتداءًا حين اخترع ما سماه بـ (القرآنيين) من عالم المجهول، وأما إفلاسه الفكري؛ فكان بترويج طعون المستشرقين، فإنكار تشريعية السنة -التي بنى كتابه عليها- ماركة مسجلة لدى المستشرقين، أخرجها طرابيشي بصناعة مقلدة، يقول شاخت: "أصبح النبي ﷺ نبيًّا مشرعًا، **ولو أن سلطته لم تكن تشريعية**؛ كانت للمؤمنين من الوجهة الدينية، وللمنافقين من الوجهة السياسية"(١).

وأما مصطلحاته وعناوينه؛ فهي ترجمة غير حرفية لمصطلحات المستشرقين؛ لتمريرها على القارئ العربي، وطرابيشي مترجم قبل أن يكون ناقدًا.

ولعل عمله الترجمي جعله يستبطن أقوال المستشرقين شعوريًّا أو بلا شعور، فقرأ بلغة القوم ما لم يقرأه غيره، فرضي طرابيشي لنفسه أن يكون مصنعًا لإعادة تدوير منتجات المستشرقين، فيظهر بما استبطنه من فكر الاستشراق بصفة الناقد المعرفي؛ الذي يحفر بعمق في دراساته.

وحقيقة الأمر: أنه يحفر بعمق في الفكر الاستشراقي ليعيد تصديره لأبناء جلدته، وبلسان قومه، ثم يوقع تحتها بحرفيه (ج. ط)، فإذا رأى القارئ هذا التوقيع انبهر بقدرات الناقد البارع، وبسلاسة فكره، وسيالة قلمه! وهذا ما كان يفتقده المستشرقون، فجاء طرابيشي ليكمل المهمة، ويسد الفراغ، ويتفوق على شيوخه، وكم من تلميذ بزّ

---

(١) نقله الأعظمي، المصدر السابق، (٢/ ٤٤٧).

شيخه، فلما استعمل المستشرقون عبارة: (تحت ضغط أهل الحديث)؛ حولها طرابيشي (لأيدليوجيا المحدثين)، ولما تحدث المستشرقون عن (دور الإمام الشافعي في تاريخ السنة)، عنون طرابيشي: (الشافعي: تكريس السنة)، ولما رأى حرص المستشرقين على دراسة «الموطأ»، وتعميم أحكامهم على تاريخ السنة من خلاله، قام طرابيشي بدراسة تفصيلية عنه، ولما اختار المستشرقون كتب السيرة كعينات لدراسة الحديث النبوي؛ سار على نهجهم مع توسع في مصادر السيرة، معتمدًا على ما تأخر منها؛ كـ «السيرة الحلبية».

ويردد ذات الشبه الزائفة؛ بأن فقهاء المسلمين تأثروا بالقانون الروماني![1].

وفي بعض الحالات يقبل طرابيشي أن يشاركه غيره في مصنع التدوير؛ فينقل عن شركائه مادحًا إياهم لترويج منتجات مصنعه، فيعنون: (ابن حنبل: إمام السنة)، ليتحدث عن محنة الإمام أحمد في فتنة القول بخلق القرآن، فيدعي أنه قام بقراءة تفكيكية، والصواب: أنها تجميعية مما قاءه المستشرقون في دراستهم للمحنة بغير علمية ومنهجية!

ويثني على ما كتبه الأستاذ فهمي جدعان؛ الذي نجح على الأقل في رسم بعض علامات الاستفهام حول الكيفية التي وظفت بها قصة المحنة لاجتثاث التيار

---

(١) انظر: «من إسلام القرآن» (ص٢٣٨).

المعتزلي[1]!! ولكن طرابيشي يزيل ورقة المصنع الأصلي والمنتِج الحصري؛ ليضع مكانه ورقة مزورة باسم مصنع طرابيشي وشركاؤه! ليوهم القارئ بدراسته التفكيكية، وهي أشبه ما تكون بمصانع التجميع التي تبنيها شركات السيارات العملاقة في بلاد العالم الثالث؛ لرخص الأيدي العاملة، ولكنها بكل حال تحتفظ باسم المصنع الأصلي لترويج السلعة.

وأما التصنيع والتجميع الفكري؛ فيكون بطريقة عكسية، لأن المصنع الأصلي يعلم أنه إذا بقي الاسم الأصلي لمصنع الاستشراق فإن البضاعة كاسدة لا محالة؛ لاقتران اسم الاستشراق بالاستعمار والأصولية الغربية، فيسمح المصنع الأصلي بوضع ماركة مسجلة غير الماركة الأصلية؛ كمثل ماركة (ج. ط)، فهذه الماركة التي تعجب القارئ العربي فهي من أبناء جلدته وبقلم عربي!!

وهذا ما حققه الأستاذ إبراهيم السكران في كتابه «**التأويل الحداثي للتراث- التقنيات والاستمداد**»، فتحدث تحت عنوان: (تهريب استشراقيات المحنة) مطولًا في تاريخ الدراسات الاستشراقية حول محنة الإمام أحمد، وتسييس المستشرقين لها، وتهوينهم من فظاعة ما جرى للإمام أحمد فيها؛ ولا سيما ما كتبه المستشرق الألماني (فان. إس)، ومن ذلك: ادعاء أن الحنابلة ضخموا البلاء الذي أصاب الإمام أحمد، وأن

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٥٠٨)، هامش رقم (٧٣).

الروايات التاريخية السنية حول المحنة متضاربة، والتشكيك في عدد الجلدات التي جلدها الإمام أحمد، وأن الصراع ليس عقديًّا وإنما لمحاولة المأمون كسر السلطة المتصاعدة لأهل الحديث[١].

وهذا ما قام بتجميعه طرابيشي؛ ليظهر لنا بمظهر المهندس الصانع والمفكك الماهر! وهو لم يقم بدور مهرب الأفكار -كما وصفهم الأستاذ السكران-، فمرحلة التهريب انتهت على يد الآخرين، ولكن طرابيشي وصل لمرحلة التصنيع وإعادة الإنتاج؛ فكان آخر منتجاته المقلدة وبماركة عربية: «**من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**»، فهذا المنتج بهذا العنوان سيجذب الزبائن، ضمن خطة تسويقية مبتكرة، فإن البضاعة المهربة لا يقبل عليها إلا خاصة الناس؛ ممن تهرب لهم البضائع، ويبقى المهرِب والمهرَب إليه في ريبة من أمره، ربما يكشف أمره، فيدفع جمارك البضاعة المهربة، ولكن في زمن التجارة العالمية في ظل الحداثة؛ لا بد من توسيع الفئة المستهدفة المستهلكة من جمهور الناس لمنتجات الاستشراق، بصيغة جديدة وتغليف جميل، بإنشاء مصانع إعادة التجميع.

---

(١) انظر: السكران، إبراهيم عمر، «التأويل الحداثي للتراث» (التقنيات والاستمداد)، الرياض- دار الحضارة، (١٤٣٥هـ-٢٠١٤م)، (ص٢٣١)، حيث فنّد بطريقة علمية منهجية تفكيكية هذه الدعاوى، وأما ما ذكر من تهويلات حول المحنة؛ فإن علماء المسلمين -كالإمام الذهبي- نقدوها قبل المستشرقين، وقبل صاحب مصنع التجميع! جورج طرابيشي.

فكم نحتاج لدراسات تفكيكية لبيان اتفاقيات وكالات مصانع التجميع؛ بدراسة الجذور الاستشراقية للحداثويين العرب، وهذا لا يعني: رفض كل دراسة علمية جادة في ميدان البحث والتحقيق للتراث الإسلامي.

ولكن متى خرجت من مصانع التجميع؛ فإنها دراسة مشوبة بالتحريف والتزوير، فضلًا عن التقليد والاجترار!

والعجب كل العجب: أن الحداثوي يدعو للتجديد والإبداع؛ وهو أبعد ما يكون عن ذلك! وإنه يصدع رؤسنا بليبراليته؛ وهو يبحث في عدد السياط التي ضرب بها الإمام أحمد!!

لقد حاول طرابيشي إخفاء المواد الأولية لمصنعه التجميعي؛ ليظهر مصنع الفكر وكأنه منجز عربي على يديه؛ إلا أنه في بعض الأحيان أخرج لنا شهادة المنشأ لإعادة التصدير، وذلك ليبعد عن نفسه تهمة الاستشراق الباطني، ففكرة نفي عالمية الإسلام يعتمد عليها طرابيشي من فتات المستشرقين في تفسيرهم لكلمة الأميين، فهي: "**مشتقة من (أُمَّتْ) أو (أُمَّيم) العبرية، أو ربما من (غوييم)، وهو: النعت الذي يطلقه المأثور اليهودي على سائر أبناء الأمم الذين لم يؤتوا -بعكس بني إسرائيل- الكتاب، أي: الوثنيين**"، وهذا ما نوّه به بعض المستشرقين[1].

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٩٠).

وكذلك القرآن أنزل على الأميين العرب؛ فهو خاص بهم دون غيرهم، و"**الواقع أن دعوى (الأممية) بمعنى: (العالمية) لن تغلب على اللاهوت الإسلامي، سواء في كتب التفسير أم في كتب الفقه، أم على الأخص في كتب الحديث؛ إلا في سياق التحول التاريخي والجغرافي الكبير من إسلام الرسالة إلى إسلام الفتوحات**"(١).

وعليه؛ فإن الحداثوي طرابيشي لا يبدع بل يجتر نظريات المستشرقين! ويهرطق من جديد بهرطقة عكسية؛ اشتياقًا لأصوليته التي ارتد عنها!!

**نظرية (القذف الخلفي) للأسانيد (Projecting Back):**

تعد هذه النظرية -التي وضعها المستشرق البروفسور شاخت-: من أهم النظريات التي درس بها المستشرقون الحديث النبوي لإثبات (تاريخ الاختلاق) في الحديث، ومعرفة العصر الذي وضع فيه الحديث؛ حتى وصفت بـ (الاكتشاف العلمي الخطير)!

فهذه النظرية تبين: تاريخ وضع الأحاديث على رسول الله ﷺ، ويعطي المدلول الدقيق لتلك الأسانيد، وهو: أن الجزء السفلي من الأسانيد صحيح، بينما الجزء العلوي الموصل إلى النبي ﷺ خيالي وزائف!(٢).

---

(١) المصدر السابق، (ص٩٠-٩١).

(٢) انظر: الأعظمي، محمد مصطفى الأعظمي، «دراسات في الحديث النبوي» (٢/ ٤١٦).

ويفصل شاخت نظريته: "هذه النتائج المتعلقة بتطور الأسانيد تمكننا من أن نتصور القضية التي وضع فيها حديث ما للتداول من قبل محدث ما، يمكن أن نسميه ن.ن، أو عن طريق شخص استعمل اسمه في وقت ما ثم يقتبس ذلك الحديث عادة من قبل رواة أو عدة رواة"(١)، والنتيجة التي توصل لها: "إن أكبر جزء من أسانيد الأحاديث اعتباطي.. ومعلوم لدى الجميع أن الأسانيد بدأت بشكل بدائي، ووصلت إلى كمالها في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري... وكانت الأسانيد كثيرًا ما تلصق بأدنى اعتناء... وأي حزب يريد نسبة آرائه إلى المتقدمين كان يختار تلك الشخصيات ويضعها في الإسناد، وفي الأمثلة التالية نجد مظاهر الاعتباط في الأسانيد وانعدام الثقة فيها"(٢).

ومن نتائجها: "بعد مضي قرن ونصف لوفاة النبي ﷺ -تقريبًا-: ما بقيت في ذاكرة الجماعة إلا تصورات غامضة مبهمة عن نبيهم، بذلت الجهود لسد النواقص، وأضيفت الرتوش والألوان ورتبت المواد ترتيبًا منهجيًّا، وصيغت بشكل الأحاديث مع إضافة الأسانيد، وكان كل ذلك في القرن الثاني الهجري"(٣).

---

(١) نقله: الأعظمي، محمد مصطفى الأعظمي، «دراسات في الحديث النبوي» (٢/ ٤١٦).

(٢) نقله: الأعظمي، المصدر السابق، (٢/ ٤٢٢).

(٣) نقله: الأعظمي، محمد مصطفى الأعظمي، «منهج النقد عند المحدثين-نشأته وتاريخه»، مكتبة الكوثر-الرياض، الطبعة الثالثة، (١٩٩٠)، (ص١٣٤).

وقريب من هذه النظرية: ما قاله جولدتسيهر: "فإنه ليس من السهل تبيين الخطر المتجدد عن بعد الزمان والمكان من المنبع الأصلي؛ بأن يخترع أصحاب المذاهب النظرية والعملية أحاديث لا يرى عليها شائبة في ظاهرها، ويرجع بها إلى الرسول وأصحابه.

فالحق: أن كل فكرة، وكل حزب، وكل صاحب مذهب؛ يستطيع دعم رأيه بهذا الشكل، وأن المخالف له في الرأي يسلك -أيضًا- هذا الطريق"[١].

ولست بصدد بيان بطلان هذه النظرية؛ حيث كفانا البرفسور الأعظمي ﷺ مؤونة ذلك -كما سيأتي بيانه-، ولكن المقصود: بيان تطبيق الأستاذ جورج طرابيشي للنظرية في كتابه «**من إسلام القرآن**» لإظهار الاستشراق الباطني الذي مارسه؛ حيث طبق النظرية وتبناها بكل تسليم، وقام بتعميمها على جميع الأحاديث، ثم إنتاجها في مصنع التجميع الذي منح ترخيصه من المستشرقين؛ فيقول: "**الإسناد: آلية بعدية لا قبلية، جرى اختراعها لسد ثغرات السلسلة، وتوثيق الرواة، والتمرير الأركيولوجي لـ (الآثار) على أنها: آثار فعلًا، على أنها -وهي المصنعة في العصور المتأخرة (المذمومة)-: من نتاج العصور المبكرة (المحمودة)، وعائدة حصرًا إلى الزمن الأول الذي هو بامتياز في حضارة النص المقدس الإسلامي، زمن النبوة**

---

(١) «العقيدة والشريعة في الإسلام»، جولد تسيهر، نقله للعربية وعلق عليه: محمد يوسف موسى وآخرون، دار الكتب الحديثة بمصر، الطبعة الثانية، (١٩٥٩م)، (ص٤٩-٥٠).

والصحبة"[١].

ويقول: "أضف إلى ذلك: أن الرواية -سواءً أكانت أحادية أم متواترة- خاضعة جبريًّا لقانون المسافة الزمنية، وبالرجوع إلى المدونة الحديثية في الإسلام، وهي الأضخم في نوعها من جميع مأثورات الديانات الأخرى؛ فإننا لا نملك حديثًا واحدًا نستطيع أن نقول أنه قاله الرسول من دون فاصل زمني، بل جميع ما في متاحنا من الأحاديث، وهي تعد بعشرات الألوف...

فلنا أن نقول: إن مسافة زمنية لا تقل عن أربعة أجيال تفصل بين (قال الرسول) ،و(قال... قال الرسول"[٢].

فـ "الآلية الإسنادية التي تحكمت بالصناعة الجماعية للسنة المنسوبة إلى الرسول: فهي: ليست آلية صاعدة ومتقدمة إلى الأمام، بل نازلة ومتراجعة إلى الخلف، ليست آلية تبدأ من الرسول لتنتهي إلى (الثقة ) فـ (الثقة)، بل آلية تبدأ من (الثقة) فـ (الثقة)؛ لتنتهي إلى الرسول.

ومن هنا كانت قابلية المدونة الحديثية للتضخم اللامتناهي: فكلما حدّث

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٣٧٩).

(٢) المصدر السابق، (ص٢٠٣).

**(ثقة) جديد عن (ثقة) قديم انضاف إلى المدونة الحديثية حديث جديد، أو في أدنى الأحوال تفصيل جديد إلى حديث قديم. وهكذا بقيت المدونة الحديثية مفتوحة للتراكم إلى ما بعد قرن «الصحاح»، أي :القرن الثالث الهجري، ولم يُعدم من يضيف إليها أو يعيد تجميعها امتدادًا إلى القرن الثامن الهجري"[(١)].**

**و"فالسلسلة الإسنادية -كما تقدم البيان- يتحكم بها لا أول من رُوي عنه أنه روى؛ سواء أكان هو الصحابي أم التابعي أم تابع التابعي، بل آخر من روى من الحفاظ (الموثَّقين) و(المعدَّلين)؛ الذين يحكمون قبضتهم على سلاسل إسنادهم"[(٢)].**

والمنهجية الاستشراقية البحثية طبقها طرابيشي ليس فقط في اجترار افتراءات المستشرقين حول السنة النبوية، بل حتى في اختيار عينات الدراسة؛ فبدلًا من دراسة الحديث الشريف من الكتب الحديثية البحتة -أي: الكتب التي ألفت بهدف: جمع الحديث النبوي، والتصنيف فيه؛ كـ «الصحيحين» و«السنن»-، يعمد إلى كتب لم يهدف أصحابها لجمع الحديث النبوي وتدوينه، بل غايته: الاستدلال الفقهي والمناظرات

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٢٥٠).

(٢) المصدر السابق، (ص٥٤٧).

العلميـة؛ كــ «الموطـأ» للإمـام مالـك، أو «الأم» للإمـام لـشافعي و«مـشكل الآثـار» للطحاوي وغيرها، ليبني عليها نظريته في وضع الحديث والتشكيك في السنة النبوية.

ويحاول طرابيشي بسوء فهمه وقصده: أن يحبس القارئ في تصور باطل عن رواية الحديث، وذلك أنه يفترض -بحسب نظريته التي ظهرت في عنوان الكتاب «**من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**»-: أنه لا وجود للسنة أصلًا، وإنما وظيفة النبي ﷺ تبليغ ما أنزل عليه القرآن فحسب، وعليه؛ فهو يصف ما وصلنا من الحديث بالتضخم والتراكمية، فحتى عصر مالك ﷺ تضخمت المدونة الحديثية -بزعمه!-، ثم جاء الشافعي فزاد التضخم، حتى وصلت إلى أقصى تضخم في القرون التالية.

وهكذا هم علماء الحديث؛ كآلة طباعة الأوراق النقدية! فكلما جاء أحدهم في عصر من العصور طبع أحاديث جديدة لم تكن في عصر من سبقه.

وهو بهذه النظرية فاق نظريات المستشرقين!! ولكن باسم القرآنية، فهي استشراقية باطنية، "**فآخر مسند كان قيد التداول قبل تدخل الشافعي هو: «موطأ» مالك، والحال أن أحاديث «الموطأ» -كما كنا رأينا- لا تتعدى في العداد الخمسمئة، أما بعد تدخل الشافعي؛ فقد تضاعف عدد الأحاديث في كل من «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» ثمانية عشر ضعفًا؛ ليتعدى التسعة آلاف حديث، أما في «مسند ابن حنبل»؛ فقد ضرب تضخم الحديث رقمًا قياسيًّا بتضاعف في**

**المعدل بلغ ثمانين ضعفًا؛ ليصل العدد إلى نحو أربعين ألف حديث"**[١].

ويغلف طرابيشي نظريته ببعد بيولوجي؛ فيقدم تشخيصًا لحالة التضخم الحديثية: **"بأن الأصل في الذاكرة: كونها محكومة بيلوجيًا بقانون النسيان طردًا مع تقدم الزمن، ومتى استذكرت الذاكرة في الزمن الآخر ما لم يكن موجودًا فيها في الزمن الأول، فإن استذكارها هذا لا يمكن إلا أن يكون كاذبًا، أي: وضعًا"**[٢].

و**"فكلما ازداد عهد النبوة بعدًا تكاثر عدد الأحاديث المنسوبة إلى النبي، وبدلًا أن يكون الزمن عامل نسيان يصير عامل استذكار ...**

**وهذا الانقلاب في القانون البيولوجي للذاكرة يقول وحده كل ما يمكن قوله عن واقعة الوضع، وما استتبعه من تضخم في الحديث"**[٣].

ويدلل طرابيشي على نظريته بلغة الأرقام؛ فيقول: **"وحسبنا أن نستذكر أن مسلمًا صنف «صحيحه» بأحاديثه الأربعة آلاف من أصل ثلاثمئة ألف حديث، وأن أبا داود صنف «سننه» من أصل خمسمئة ألف حديث، وأن أحمد بن حنبل صنف**

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٢٧١).

(٢) المصدر السابق، (ص٥٨٢).

(٣) المصدر السابق، (ص٥٧٥).

**«مسنده» من أصل سبعمئة ألف حديث؛ حتى ندرك أن أكبر عملية كذب على رسول الله ﷺ والصحابة في التاريخ هي: تلك التي نظمها مزوروا الحديث في القرنين الثاني والثالث الهجري"**[١].

وهي ذاتها اللغة الاستشراقية؛ حيث يقول المستشرق غيوم: "يقول المؤرخون الذين ترجموا للبخاري: إنه ألف كتابه مما لا يقل عن ستمائة ألف حديث، وإذا طرحنا التكرار الذي يحصل كثيرًا ضمن أبواب متعددة؛ نجد أنه نقص هذه الأعداد الضخمة من الأحاديث الموضوعة أو المشكوك فيها إلى ثلاثة آلاف حديث.

بتعبير آخر: لم ينجح في اختباره أكثر من حديث واحد من كل مائتي حديث كان متداولًا في ذلك الوقت"[٢]، وكلام هذا المستشرق يوهم: أن البخاري أراد أن يجمع كل الأحاديث الصحيحة في كتابه، مع أنه لم يشترط ذلك، بل أراد إخراج كتاب مختصر في الحديث النبوي، فترك أحديث صحيحة خشية تطويل الكتاب، ولا يعني: أن الأحاديث التي لم يذكرها في كتابه أنها من ضمن الأحاديث التي رسبت في الاختبار.

أما صاحبنا الطرابيشي؛ فبعد أن استوحى فكرته من المستشرقين، وعرض انتقاء العلماء للحديث بعد تنقيته من الموضوع والضعيف؛ توصل لنتيجة عكسية، وهي: أن

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٢٠٤).

(٢) نقله: الأعظمي، «دراسات في السنة» (٢/ ٥٩٦).

هؤلاء العلماء هم من قاموا بأكبر عملية كذب في التاريخ، فيستدل بجهود العلماء في مقاومة الكذب على أنهم كاذبون!! فكيف يستدل بعمل الكاذبين -وحاشاهم!- في منع الكذب على كذبهم؟!!

هذه هي المنهجية العلمية!! وكما قلت سابقًا ،فإن طرابيشي يتلقف الفكرة الاستشراقية ثم يطورها ثم يخرجها بطعن أشد من طعن المستشرقين؛ إتقانًا منه لصناعة التجميع التي تم توكيله بها!

ولنقدم تلخيصًا للنظرية الطرابيشية في وضع الحديث؛ الذي كان سببًا في التحول من (**إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**):

١- النبي ﷺ لم ينطق بحديث واحد؛ فوظيفته تبليغ القرآن للناس، فالسنة من حيث الأصل لا وجود لها؛ لأن وظيفة النبي ﷺ وظيفة إبلاغية حصرًا[1].

٢- كل ما ينسب للنبي ﷺ من أحاديث فهي: مكذوبة قطعًا؛ لأنها تخالف الوظيفة البلاغية التي وكل بها.

٣- تاريخيًّا انقلب الأمر؛ فتحول المسلمون «من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث»، وذلك بظهور أحاديث بجانب القرآن، وهذا يخالف الوظيفة البلاغية الحصرية.

٤- وعليه؛ بدأت الأحاديث قليلة، ولكن وفق قانون التراكم بدأت بالتضخم من

---

(١) انظر: «من إسلام القرآن» (ص٩).

عصر لآخر، وذلك أن الفقهاء والمحدثين كلما احتاجوا للاستدلال لمسألة ما؛ اخترعوا أحاديث لم تكن موجودة أصلًا، وصنعوها بطريقة عكسية، فبدل أن تصدر من أسفل إلى أعلى، فإنها تصدر من أعلى لأسفل لأن "**الإسناد: آلية بعدية لا قبلية، جرى اختراعها لسد ثغرات السلسلة، وتوثيق الرواة، والتمرير الأركيولوجي لـ (الآثار) على أنها: آثار فعلًا، على أنها -وهي المصنعة في العصور المتأخرة (المذمومة)-: من نتاج العصور المبكرة (المحمودة)، وعائدة حصرًا إلى الزمن الأول الذي هو بامتياز في حضارة النص المقدس الإسلامي، زمن النبوة والصحبة**"[1].

فمثلًا: الشافعي -وحاشاه!- يطرأ على باله حديث؛ فيتقوّل: حدثني مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ، وربما الذي اخترعه هو مالك -وحاشاه!-، وصدّر اختراعه للشافعي، ولا يبعد أن يكون نافعًا -وحاشاه!- فعل ذلك، وهكذا جميع الأحاديث التي بين أيدينا، هي: أحاديث مصنوعة في معامل المحدثين والفقهاء بطريقة بعدية وليست قبلية؛ حتى وصلت المدونة الحديثية لحد التشبع، وهذا مخالف لبيلوجية النسيان التي تقول: أن الإنسان عبر الزمن ينسى ولا يستذكر!!

٥- وبناءً عليه؛ فإن الأحاديث التي جمعها المحدثون في كتبهم: كلها مكذوبة، ولا

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٣٧٩).

يمكن الوثوق بشيء منها، والمحدثون هم من وضع هذه الأحاديث.

**إذا ما الفرق بين طرابيشي والمستشرقين؟!**

للإنصاف: أن طرابيشي تفوق على المستشرقين، ولو قرأ جولدتسيهر وشاخت هذه النظرية لألغى كل منهما نظرياته حول السنة، ليس إعجابًا بها بل لأنها تحقق غرضهما من الطعن في الإسلام؛ ما لم يتصوره كبار المستشرقين.

ولكن للإنصاف -أيضًا-: أن نظريات المستشرقين مصبوغة نوعًا ما بالعلمية والمنهجية، أما نظرية طرابيشي فهي: محض هذيان! وخلط للأوراق!! فعلماء الحديث هم أول من قاوم الوضع في الحديث، ووضعوا قوانين منهجية لكشف الكذب وفضح الوضاعين، وقواعد صارمة لقبول الحديث، وهل ألّف البخاري «صحيحه» لولا الوضع في الحديث؟!

لكن طرابيشي يروج نظريته بقرآنية مزعومة، تم كشف خيوطها في الفصل الأول (**طرابيشي السيرة الانقلابية**)، فهل يعقل أن خاتم النبيين عندما بلّغ الناس كتاب ربهم لم يبين لهم شيئًا، واستعمل معهم لغة الإشارة؛ كأنما يخاطب من به صمم، وقال لهم: دونكم كتاب ربكم؟! وإذا كان الأمر كذلك؛ هل سلم له الناس -وهم الذين كانوا في جاهلية جهلاء- دون أن يستشكل عليهم شيء؛ فيسألونه عن دينهم، فيجيبهم؟ ألم يمارس هو ما جاء به القرآن عمليًا؟! ألم يأمرهم القرآن أن يتخذوه أسوة حسنة؟ فلماذا يأمرهم بذلك، وهو لا وظيفة له إلا إيصال الرسالة؟!

ولقد تساءلنا في (الفصل الأول): كيف عبد الناس ربهم؟ كيف كانوا يصلون؟ كيف كانوا يصومون ويزكون ويحجون؟ وكل ذلك لم تذكر تفاصيلها في القرآن الكريم؟ ولماذا يصلي الناس اليوم بذات الطريقة التي صلى بها الرسول ﷺ بعد أكثر من ألف وأربعمائة عام، ويتناقلون ذلك جيلًا بعد جيل؟!

فالباحث المنصف يجد أن المسلمين في مختلف بقاع الأرض التي وصلوا إليها كانوا يتعبدون عبادة واحدة، ويتعاملون بأحكام واحدة، ولو كان الحديث أو القسم الأكبر منه نتيجة للتطور الديني في القرنين الأولين؛ للزم -حتمًا- ألا تتحد عبادة المسلم في شمال إفريقيا مع عبادة المسلم في جنوب الصين، إذ أن البيئة في كل منهما مختلفة عن الأخرى تمام الاختلاف، فكيف اتحدا في العبادة والتشريع والآداب، وبينهما من البعد ما بينهما؟[1].

فبناءً على القانون البيلوجي -كما ذكره جورج طرابيشي- كان يلزم الناس: أن تمسح ذاكرتهم؛ فلا يتذكرون شيئًا! ولعل هذا ما يتمناه طرابيشي؛ أن يمسح بحداثويته عقيدة الإسلام من قلوب المسلمين، فقدم أمنيته بصيغة قانون بيلوجي.

---

(١) انظر: السباعي، مصطفى السباعي، «السنة ومكانتها في التشريع»، المكتب الإسلامي-بيروت، الطبعة الثانية، (ص٢٢١)، في معرض رده على المستشرق جولدتسيهر الذي زعم: أن الأحاديث كانت بسبب تطور المسلمين!!

فإذا تبين ذلك؛ فلا شك أن النبي ﷺ حدّث بأحاديث قولية، ووصف الصحابة أفعاله وتقريراته وصفاته، فهم من فرط حبهم له لم يتركوا شاردة من قول أو فعل إلا ونقلوها عنه.

وهم عرب أقحاح يفهمون كلامه الفصيح، وهم أهل قريحة الحفظ يمتلكون قدرات في الاستذكار قل نظيرها بين الأمم، فالعربي لأميته كان يحفظ الأشعار والمعلقات وأيام العرب وأمثالهم وتاريخهم عن ظهر قلب، أيعجز عن حفظ كلام أفصح العرب؟ وهم بعد ذلك طبقوا أحاديثه بصورة عملية؛ فرسخت في وجدانهم وعقولهم، وهم من دافع عنه وحماه، وبذل المهج في سبيل الله ﷻ، أيستجيز بعد ذلك أن يكذب عليه؛ ولو حرفًا واحدًا؟ وهم من رضي الله عنه ورضوا عنه، وهب أن أحدهم كذب عليه -وحاشاهم!- ؛ أكانوا يسكتون عنه، أم أن أعداءه من قريش وغيرهم سيسكتون عنه ولا يعيرونهم بذلك؟!!

فهذه الأحاديث -بالجملة- صادرة عنه مباشرة، أو من بما فهمه أصحابه عنه، وكلهم ينقل ما سمع أو شاهد، فلما توفي رسول الله ﷺ؛ نقلوا ذلك لمن بعدهم من التابعين، والتابعون ينقلون ذلك لمن بعدهم، فمن عرف عنه الكذب في الحديث؛ فضحوه، وكشفوا أمره، وحذروا من حديثه، ومن عرف عنه بسوء حفظ؛ بينوا حاله، فلم يقبلوا إلا أحاديث الثقات المتثبتين باتصال السند من غير شذوذ ولا علة، وردوا

أحاديث بعض الرواة لأدنى شبهة؛ احتياطًا لسنة النبي ﷺ، أبعدَ ذلك يقال عنهم: وضاعون؟!!

أما التراكمية التي يطعن بها طرابيشي على المحدثين، فهذا: قانون مطرد في نقل الأخبار؛ خاصة بعد الفتوحات ودخول الناس في دين الله أفواجًا، فلو قلنا: أن عدد الصحابة الذين نقلوا الحديث عددهم عشرة -على سبيل المثال-، وكل منهم له عشرة أحاديث، ويحدث بحديث لا يوجد عند صاحبه، وبعد وفاة النبي ﷺ تفرق هؤلاء الصحابة في الأمصار؛ فسكن أحدهم في مكة، وآخر في البصرة، وثالث في الكوفة، ورابع في الشام، وخامس في مصر، وهكذا؛ وكان لكل واحد منهم عشرة تلاميذ، فحدثهم بأحاديثه العشرة، وبعد وفاة الصحابي كان لهذا التابعي الذي سمع الحديث من الصحابي عشرة تلاميذ، وحدّثهم بما سمع، وهكذا جيل بعد جيل؛ فلا شك أن طرق الرواية ستتفرع وتكثر، وسيكون عند البعض ما لم يحدث به الآخر، وسينقل أهل الأمصارحديثهم لبلد آخر.

وبعض الصحابة كان يكتب الحديث؛ كما صنع عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في صحيفته (الصادقة)، ومع الاحتكاك الحضاري بالفرس والروم وغيرهم -ممن أتقن صناعة التدوين والكتابة- بدأت تظهر نسخ حديثية يكتبها التابعون عن بعض الصحابة، ومثالًا على ذلك: درس البرفسور الأعظمي نسخة من النسخ الحديثية، وهي نسخة سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه، ودرس من شارك أبا هريرة

من الصحابة في رواية بعض الأحاديث، ثم تتبع الرواة عن أبي هريرة، ثم الرواة عن أبي صالح، والرواة في الطبقة الثالثة عن سهيل، وبين التطور الطبيعي للرواية وتفريعاتها برسوم بيانية توضيحية لتسلسل الرواية من أسفل لأعلى، حتى منتصف القرن الثاني تقريبًا؛ حتى وصلت الأسانيد بالمئات، كنتيجة طبيعية لأي خبر من الأخبار.

فهذا هو القانون الطبيعي لنقل الروايات، وليس كما حاول طرابيشي أن يأسر عقل القارئ بفكرة: (اختلاق المحدثين للروايات)! بتلاعبه بالألفاظ قبلًا وبعدًا، وتصوره المعكوس للرواية، وأنها من اختلاق من جاء من بعد، فيلصقها بمن قبله، وهكذا حتى تصل لزمن النبوة[1].

ثم جاء التدوين الرسمي للحديث بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز ﵀، ومع دخول القرن الثاني شاع التصنيف في الحديث؛ فظهرت «الموطآت»، وغيرها من الكتب الحديثية، حتى إذا جاء علماء الحديث في القرن الثالث، وجمعوا ما وصل إليهم مع اختلاف في غاية كل جامع منهم العلمية؛ فمنهم من يؤلف جامعًا؛ كما صنع البخاري ومسلم، و«الجامع» كتاب حديثي يجمع جميع أبواب الدين؛ من العقائد والعبادات والآداب والمغازي وغيرها، والآخر يجمع في السنن التي تغلب عليها المسائل الفقهية، وآخر يجمع على طريقة «المسانيد» بحسب أسماء الصحابة، وهكذا، فانتقل الحديث

---

(١) انظر: الأعظمي، «دراسات في السنة» (٢/ ٤٧١ إلى ٦٠١).

شفهيًّا وتدوينًا من جيل للآخر.

وهذا أمر طبيعي لكل علم يكون في مرحلة النشأة ثم يتطور شيئًا فشيئًا، وأنت ترى أن عالـمًا من علماء العلم التجريبي يتوصل لقانون ما؛ فيطلع عليه بعض تلاميذه، ثم ينقلونه لمن بعدهم؛ فيشيع وينتشر بعدد أكبر، ثم يأتي من بعده؛ فيفرع عليه ويطوره، وهكذا.

ولو طبقنا هذا القانون على الأستاذ جورج طرابيشي بنفسه، وقلنا -على سبيل المثال-: أنه قال عشرة أقوال، وسمعها منه من خاصة تلاميذه أومن أهل بيته خمسة أشخاص، ثم بعد وفاته نقل كل من الخمسة أقواله لمن بعدهم، فلو قلنا: أن أحد تلاميذه كان مدرسًا في جامعة ما، ويحضر له عشرون طالبًا؛ فنقل لهم قولًا واحدًا من أقوال الأستاذ طرابيشي، ونقل تلميذ آخر قولًا آخر لجمع من الناس، وهكذا؛ ماذا ستكون النتيجة،؟ لا شك أن التراكم وزيادة الناقلين للخبر ستكون أمرًا طبيعيًّا، ثم كيف سينقل تلميذ طرابيشي الخبر عنه؟ لا شك أن سيقول: سمعت أستاذي يقول، فإذا جاء تلميذ آخر بعد جيل؛ سيقول عن أستاذي فلان عن الأستاذ طرابيشي: أنه قال، لكن طرابيشي يريد من المحدثين أن لا يفعلوا ذلك؛ لأنهم لو فعلوا تكون الرواية صادرة من الأعلى للأسفل، وهذا برأيه دليل على الكذب.

إذًا؛ على المحدثين أن يقلبوا كل قوانين الطبيعة بمعجزة طرابيشية؛ حتى يقبل طرابيشي منهم الحديث!!

لقد حاول الأستاذ طرابيشي: أن يوهم القارئ أن أحد علماء الحديث -وهو الإمام مالك رحمه الله- كان قد جمع الحديث كله، ثم تراكمت الأحاديث من بعده، وهو يعلم أن كتاب مالك رحمه الله كتاب فقهي، يستدل ببعض الأحاديث بما وافق مذهبه الفقهي، ولم يقصد مالك: جمع الحديث، وكتابه للفقه أقرب منه للصناعة الحديثية البحتة، وطرابيشي يعلم أن هناك أحاديث في «الموطأ» لا توجد في «المدونة» -عى سبيل المثال- والعكس، وكلاهما من كتب السادة المالكية، وطرابيشي يعلم أن الإمام مالك لم يرحل للأمصار لجمع الحديث وإنما اكتفى برواية أهل المدينة، أو من جاء من المحدثين إليها، فمن الطبيعي أن يتوافر عند غيره من الحديث ما لم يروه مالك، أو أن يروي مالك أحاديث ليست عند غيره.

ونحوه يفعل طرابيشي بإقحام عدوه الأول :الإمام الشافعي في كتابه «الأم»، ولكن اختيار طرابيشي لمثل هذين الكتابين لدراسة تاريخ الحديث وتطوره وتدوينه: شنشنة استشراقية! فالمستشرقون يعمدون لكتب الفقه والسيرة والتفسير لدراسة الحديث، كمن يدرس الفيزياء من كتب الفلك! أو يدرس الطب من كتب الصيدلة!

يقول البروفسور الأعظمي -في معرض رده على المستشرق شاخت-: " يجب أن تدرس الأسانيد والأحاديث والمسائل المتعلقة بهما في كتب الأحاديث نفسها؛ لا في كتب السيرة، ولا في كتب الفقه، ولا في الكتب الفقهية الحديثية كـ «موطأ الإمام

مالك» -مثلًا-"[١].

إن الناقد المعرفي طرابيشي يختلق نظرية بعيدة كل البعد عن العلمية والمنهجية! باجتراره لنظريات شيوخه من المستشرقين وتطويرها، وإعادة إنتاجها في مصنع التجميع، لكنه أخفى أسانيده إليهم؛ إلا أن الأسانيد الفكرية لا يمكن أن تخفى، والصناعة المقلدة سرعان ما تكشف، وأول من تنطبق عليه نظرية الرواية العكسية من إعلى لأسفل هو: طرابيشي؛ الذي تشبع من نظريات المستشرقين، فطبقها على نفسه، ونقلها عنهم من أعلى لأسفل، ولكنه أخفى أسانيده ليظهر لنا كباحث مستقل بعيد عن تأثير الإستشراق الخارجي، ومن ناحية أخرى: ليظهر كناقد معرفي يسبق غيره في اكتشافاته المعرفية، ولكن لما بانت لنا جذور فكر طرابيشي الاستشراقية؛ تبين لنا أنه: تسول رخصة مصنع التجميع من المصنع الأصلي!

فالجذور الاستشراقية لطرابيشي يصعب حصرها؛ رغم أنه سعى لإخفائها بشتى السبل! وأولها: قلمه السيال، وأسلوبه الآسر الذي يفتقده المستشرقون، ثم باتهامه لخصمه اللدود الراحل الجابري بتهمة الاستشراق الداخلي؛ حتى يظن قارئ طرابيشي أنه أبعد ما يكون عن التأثر بالمستشرقين، ولكن إذا علمنا الجذور الأصولية للاستشراق الذي يمثل الوجه العلمي للإصولية الغربية، وظهرت لنا غاية طرابيشي من كتابه «من

---

(١) «دراسات في الحديث النبوي» (٢/ ص ٤٣٧).

إسلام القرآن إلى إسلام الحديث»، وهي غاية أصولية لنفي عموم الرسالة المحمدية لجميع البشرية، ولنفي الصفة التشريعية للسنة النبوية والتشكيك في صحتها، فلا عجب أن تجتمع الأصوليتان؛ ولو بشكل خفي وباطني.

وحتى نبين للقارئ الكريم بطلان نظريات المستشرقين، وتلميذهم النجيب: طرابيشي بخصوص: (اختلاق علماء الحديث للأسانيد والأحاديث)؛ أذكر ملخصًا لرد البروفسور الأعظمي رحمه الله على شاخت وغيره:

١- بدأ استعمال الإسناد في حياة النبي ﷺ، وكان قد استعمله بعض الصحابة لنقل الأحاديث النبوية في ذلك الوقت.

٢- لم ينتخب المستشرقون لدراسة ظاهرة الإسناد المجال المناسب، فكتابات المجتهدين والفقهاء ليست مكانًا صحيحًا لدراسة ظاهرة الإسناد، وكذلك كتب السيرة لا تفي بالغرض؛ فيجب أن تدرس الأحاديث والمسائل المتعلقة بها في كتب الأحاديث نفسها؛ لا في كتب السيرة، ولا في كتب الفقه، ولا الكتب الفقهية الحديثية كـ «موطأ» مالك -مثلًا-.

٣- وجود الأعداد الكبيرة من الرواة، مع انتمائهم لعشرات المدن المترامية الأطراف؛ تجعل كلًّا من نظرية (القذف الخلفي) للأسانيد، و(الاختراع الاصطناعي) للأسانيد: غير قابلة للالتفات، وعملية نادرة الوقوع.

٤- لم يكن هناك تطور أو تحسين في الأسانيد، وحتى ما كان من رفع للموقوف أو وصل للمرسل؛ لم يخف على المحدثين، فقد كانوا متيقظين جدًّا؛ فنقدوه، وبينوا ما فيه، وأما القول: أنهم كانوا ينتقدون الحديث إذا كان في مصلحة المدرسة الفقهية المعارضة! فهو ادعاء كاذب، لا يستند إلى دليل، بل يخالف الواقع.

٥- حسب نظرة المحدثين: لا يقبل الحديث -ولو كان متنه صحيحًا- إذا كانت أسانيده موضوعة أو ضعيفة، ولذلك لا بد لقبول الحديث من: صحة الإسناد والمتن جميعًا.

٦- ليس هناك أي سبب وجيه لرفض سلسلة الإسناد، بل الدراسة تؤكد بأن هذا المنهج يحمل في طياته كل عناصر الأصالة والصح، وتحتم قبولها بصفة عامة.

٧- قام المحدِّثون بنقد المتون والأسانيد بكل ما كان في وسعهم، وبكل جرأة وإخلاص.

٨- كتب الحديث تهيء الفرصة لإجراء كافة البحوث والدراسات، وتتحمل كل أنواع النقد؛ المبني على: العلم والإنصاف، لا على الجهل والحقد[1].

٩- تساءل البرفسور الأعظمي: إذا كانت الأسانيد مخترعة من أعلى لأسفل؛ لماذا يختار بعض الرواة أن يلصقوا أحاديثهم المخترعة برواة ضعفاء، ولم يلصقوها بشيوخ

---

(١) انظر: الأعظمي، «دراسات في الحديث النبوي» (٢/ ٤٣٦-٤٣٧).

كانوا في أعلى درجات التوثيق؟[١].

١٠- أن كثيرًا من الأحاديث مضمونها وموضوعها مشتركة بين مختلف الفرق الإسلامية؛ كالخوارج والمعتزلة والزيدية والإمامية بعد انشقاقهم عن أهل السنة، فإذا كانت الأحاديث مخترعة في القرن الثاني والثالث؛ كيف اتفق عليها المختلِفون؟!![٢].

ومن باطنية الاستشراق الباطني: مهاجمة طرابيشي لبعض آراء المستشرقين؛ ليوهم القارئ أنه ناقد لهم، وفي ذات الوقت يطعن بعلماء الحديث بما هو أشد مما قاله المستشرقون، فيرد على جولدزيهر؛ الذي طعن في السنة لأن تدوين الحديث إنما كان في القرن الثاني، **"إن الفكرة نفسها وجدت بين المستشرقين نصيرًا متحمسًا لها في شخص جولدزيهر؛ الذي حامى بقوة في الجزء الثاني من كتابه «دراسات إسلامية» عن نقلة النقلة الفجائية من طور الرواية الشفهية للحديث إلى الطور التدوين الكتابي، في الفترة الحاسمة الممتدة ما بين منتصف القرن ومنتصف القرن الثالث للهجرة"**[٣].

فمن يقرأ ظاهر نص طرابيشي يظنه ضد آراء المستشرقين، ولكن طرابيشي يخالفهم

---

(١) انظر: الأعظمي، «دراسات في الحديث النبوي» (٢/ ٤٣١).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) «إشكاليات العقل العربي»، دار الساقي، (١٩٩٨م)، (ص١٥).

ليزايد عليهم، فمصنع التجميع بدأ ينافس مصنع الأصل، فهو يرى أن تدوين الحديث بدأ مبكرًا، ولكن الذي حصل: أنه تضخم بفضل عملية الاختراع والتدليس![١].

**الانفصام المعرفي: دراسة كتاب «الفلاحة النبطية» نموذجًا:**

ضمن حلقات مسلسل (نقد النقد) لبطله جورج طرابيشي؛ تطل علينا حلقة استثنائية بعنوان: (**الموروث القديم "الفلاحة النبطية" نموذجًا**)[٢]، ومن المعلوم للمشاهد العربي الذي تابع حلقات هذه الدراما الممتدة لربع قرن من الزمان، وبحلقاته التي فاقت أرقامها المسلسالات المكسيكية: أن سبب إنتاجها: مماحكة طرابيشي للراحل الجابري، وهذه الحلقة الاستثنائية يصفها بطل المسلسل بقوله: **"الجابري لم يكتب -مثلًا- سوى نصف صفحة لا أكثر، لـ (يهرمس) كتاب «الفلاحة النبطية» لابن وحشية، ولينسبه إلى علوم (العقل المستقيل)، وهأنذا أكتب نحوًا من تسعين صفحة لأعيد بناء هذا الأثر النادر من الموروث القديم في عقلانيته العلمية السابقة لأوانها تاريخيًّا"**[٣].

---

(١) انظر: «إشكاليات العقل العربي» (ص٢٩ وما بعدها).

(٢) كما عنون طرابيشي.

(٣) «نقد نقد العقل العربي، العقل المستقيل في الإسلام»، دار الساقي-بيروت، الطبعة الأولى، (٢٠٠٤م)، (ص٩).

ومع التقدير المعرفي للجهد العلمي الذي بذله الأستاذ طرابيشي في دراسة الكتاب، وتتبع الدراسات العربية والاستشراقية حوله، وتحليله تاريخيًّا ومعرفيًّا؛ لكن من حق قارئ طرابيشي أن يتساءل: هل ناقد المعرفة مصاب بانفصام معرفي؟! فيرى في كتاب «**الفلاحة النبطية**» أثرًا نادرًا ويصفه بالعقلانية العلمية السابقة لتاريخها، بينما كتب علماء الحديث أصحاب الفكر المنهجي؛ والذين سبقوا أمم الدنيا كلها في علم الإسناد ودراسة الأحاديث: لا علمية ولا عقلانية ومزوّرة، وتروي الكذب بطريقة بعدية من أعلى لأسفل، وبينها وبين النبي ﷺ فاصل زمني واسع أدى للكذب والاختلاق؟؟!
بينما لم ينتبه للفاصل الزمني بين المؤلف والمترجم في كتاب الفلاحة؟!!

وبحسب قانون الرواية -الذي وضعه طرابيشي-: أن الرواية حتى تقبل لا بد أن تكون من أسفل لأعلى؛ فهل طبّق قانونه على كتاب «الفلاحة»؟ وبحسب السبب البيلوجي لقانون النسيان -الذي ترافع فيه طرابيشي ضد المحدثين-: هل تعطل القانون عند دراسة كتاب «الفلاحة»؟ وهل المنهجية العلمية الموضوعية يمكن أن يكون صاحبها مصاب بانفصام معرفي؛ فيطبقها في مجال علمي دون غيره؟! وما سر إعجاب طرابيشي بكتاب «الفلاحة» وبمؤلفه وبمترجمه؟؟!

وحتى لا يعجل القارئ الكريم علينا بالإجابة عن هذه الإشكاليات؛ أعرض بعض ما ذكره الأستاذ طرابيشي تعريفًا بالكتاب؛ الذي تُرجم في سنة (٢٩١ هـ)، وجاء في

مقدمته: "هذا كتاب «الفلاحة النبطية»، نقله من لسان الكسدانيين إلى العربية: أبو بكر أحمد بن علي بن قيس الكسداني، المعروف بابن وحشية، وأملاه على أبي طالب أحمد بن الحسين الزيات في سنة ثماني عشرة وثلاثمائة من تاريخ العرب من الهجرة"[١]، وهو كتاب في (الفلاحة)، وليس من كتب (السحر والطلمسات)؛ كما يدعي الجابري! وكتب باللغة الأرامية الشرقية[٢]، وأما مؤلف الكتاب فهو: (قوثامي)؛ الذي يذكر أنه ألف كتابه في بابل وهو في الستين من العمر، ورغم اعتراف طرابيشي أن المسافة المعلقة فوق التاريخ بسبب اختلاف الباحثين لتاريخ كتاب «الفلاحة النبطية» تمدد إلى ما يناهز الخمسة والعشرين قرناً[٣]، وبعد مساجلاته معهم؛ وصل لنتيجة قطعية أنه: كتب في النصف الثاني من القرن الثاني للميلاد[٤]، وترجمة الكتاب كانت ضمن مشروع المترجم ابن وحشية لإحياء تراث أجداده؛ فيقول: "إن قصدي الأول وغرضي إنما هو: إيصال علوم هؤلاء القوم -أعني: النبط الكسدانيين منهم- إلى الناس، وبثها فيهم؛ ليعلموا مقدار عقولهم، ونعم الله عندهم في إدراك العلوم النافعة الغامضة واستنباط ما عجز

---

(١) انظر: طرابيشي، «العقل المستقيل في الإسلام» (ص١٩٣).

(٢) انظر: المصدر السابق، (ص١٨٧).

(٣) انظر: المصدر السابق، (ص٢٠٣).

(٤) انظر: المصدر السابق، (ص٢٠٩).

عنه غيرهم...

فلما رأيت ذلك؛ اجتهدت في طلب كتبهم، فوجدتها عند قوم هم بقايا الكسدانيين وعلى دينهم وسنتهم ولغتهم...

وكان الله قد ترزقني قبل ذلك من المعرفة بلغتهم -التي هي: السريانية القديمة- ما لم أره مع كثير أحد، وذلك أنني منهم، أعني: من نسل بعضهم"[١].

وإذا عدنا لتباكي طرابيشي على المسافة الزمنية بين ما كتبه علماء الحديث في القرن الثاني والثالث للهجرة بقوله: "**فإننا لا نملك حديثًا واحدًا نستطيع أن نقول: أنه قاله الرسول من دون فاصل زمني، بل جميع ما في متاحنا من الأحاديث، وهي تعد بعشرات الألوف...**

**فلنا أن نقول: إن مسافة زمنية لا تقل عن أربعة أجيال تفصل بين (قال الرسول) و(قال... قال الرسول)**"[٢]، فهنا يحسب المسافة الزمنية بأجزاء من الثانية؛ ليبطل جهود علماء الحديث في الحفاظ على السنة النبوية، أما عند دراسته لكتاب «الفلاحة النبطية»؛ فيعطل كل أدوات حساب المسافة الزمنية، برحلية فضائية تخترق كل قوانين الزمن!

---

(١) طرابيشي، «العقل المستقيل في الإسلام» (ص١٩٦).

(٢) «من إسلام القرآن» (ص٢٠٣).

فإذا حسبنا المسافة الزمنية -بحسب عداد طرابيشي- بين ابن وحشية؛ الذي ترجم الكتاب سنة (٢٩١هـ)، وبين تاريخ تأليف (غوثامي) للكتاب؛ في منتصف القرن الثاني ميلادي، ولو قلنا -على سبيل المثال-: سنة (١٥٠م)؛ فإن المسافة الزمنية تقارب ثمانية قرون ما بين المترجِم والمؤلف، ومع ذلك؛ فإن الحس النقدي لطرابيشي يتخدر، ولغة الزمن والأرقام تتوقف! فالفارق الزمني بين علماء الحديث وروايتهم عن النبي ﷺ لا تتجاوز (٣٠٠) سنة بأعلى تقدير، وهي موثقة برواية المؤلف عن شيخه، وهكذا بذكر أسماء الرواة حتى تصل للصحابي عن النبي ﷺ، وهم رواة معروفون، وسيرتهم الذاتية معلومة ومكشوفة للباحثين، وشروط قبول روايتهم وضعت في أعلى درجات المنهجية والانضباطية؛ من اتصال السند، ووثاقة الرواة، وخلوها من الشذوذ والعلل الخفية.

ومع ذلك؛ فإن طرابيشي يطعن بها، ويشكك في صحتها، أما كتاب «الفلاحة» فلا يُعلم كيف وصل للمترجم بعد هذه القرون الطويلة! ولم يذكر لنا ابن وحشية اسم رجل واحد بينه وبين (قوثامي)؛ ولو كان مجهولًا! وما هي النسخة المعتمدة التي اعتمدها ابن وحشية؟ وكيف عثر عليها من ركام تاريخ الأنباط الطويل؟ زد على ذلك: إشكاليات الترجمة بعد هذه الفترة الطويلة -وطرابيشي المترجم أعلم الناس بها-.

ومع كل ذلك ينافح طرابيشي عن الكتاب، ويقطع بنسبته لمؤلفه، ولا يحرك ساكنًا في نقده، فإذا قوائم الأسانيد التي يرى أنها شكلية وبعدية عند نقده لكتب الحديث؛ لا

تعني له شيئًا، ويغض الطرف عنها، ويسلم عقله للمجهول! وكل ذلك باسم: المنهجية العلمية، والنقد المعرفي!

فالمنهجية العلمية التي يدعيها طرابيشي: منهجية هلامية؛ تعمل متى يريد، وتتعطل إذا أراد، وإذا بصاحبنا الناقد المعرفي يصاب بانفصام نقدي، وكأن طرابيشي ليس هو طرابيشي!!

ويبقى السؤال: لماذا أعجب طرابيشي بابن وحشية وبمشروعه التراثي؟!!

والجواب أنه: "**يمثل حالة نموذجية لمثقف ينتمي إلى شعوب البلدان المفتوحة؛ التي انتهت إلى اعتناق ديانة الفاتحين بدون أن تقطع مع تاريخها ما قبل الفتح، وبدون أن تعتبر تراثها الثقافي لما قبل الإسلام (جاهلية)، يتعين التنكر لها**"[1].

وإذا عدنا للتحليل النفسي الذي علمنا إياه طرابيشي؛ نجد أن ابن وحشية يقوم بدور المترجم المثقف صاحب المشروع، وأنه متخصص في ترجمة كتب (قوثامي)، ويقابله جورج طرابيشي المثقف المترجم وصاحب المشروع والمتخصص في ترجمة كتب فرويد، فأسقط طرابيشي شخصية ابن وحشية على شخصيته؛ لتكتمل فصول دراما «نقد النقد» بمؤثر نفسي؛ ليجذب عددًا أكبر من المشاهدين، ولينتصر بطل «نقد النقد»

---

(١) «العقل المستقيل» (ص١٩٥).

على خصمه اللدود الجابري!

لقد كان يمكن للناقد المعرفي أن ينقد طروحات الجابري حول «الفلاحة النبطية» بسطور قليلة؛ ليثبت رأيه العلمي في الكتاب، لكن فن المماحكة الذي أبدع طرابيشي بالقيام به، وبحيلة إسقاط (ابن وحشية) على شخصية طرابيشي، أو قُل: تقمص طرابيشي لشخصية (ابن وحشية)؛ جعلته يعيش الدور الدرامي، فينسى الدور النقدي الذي يدعيه! فيتغاضى عن فترة انقطاع قاربت ثمانية قرون!! ويوسع دائرة البحث والنقد لحديث منقطع بين الإمام مالك وبين النبي ﷺ، يقارب قرنًا من الزمن!!

لكن ابن وحشية كان وفيًّا لتراث قومه، معتزًّا بهم، ولا يتنكر لعلومهم، منسجمًا مع نفسه، أما صاحبنا؛ فيشطب تراث قومه، ويتنكر لهم، ذو شخصية أصابها إنفصام معرفي.



# الفصل الرابع



## ظاهرية ابن حزم، وحرفية طرابيشي



مما عابه طرابيشي على العلماء المسلمين؛ ولا سيما أهل الحديث: أنهم أتباع العقل النصي: "**وهو العقل المميز لجميع الحضارات المتمركزة دائريًّا على نفسها، نظير الحضارة العربية الإسلامية، بأنه: العقل الذي يقدم تعقل النصوص على تعقل الواقع، أو يرهن الثاني بالأول**"(١)، ولذلك شن حملة شعواء عليهم؛ حتى وصف ابن حزم بـ (**وثنية النص**)(٢)، لكن طرابيشي يمارس ظاهرية في بعض الأحيان أشد من ظاهرية ابن حزم!

وهذا واضح في محاولة نفيه لعالمية الإسلام --وهي القضية المركزية لكتابه-؛ فيقول أن الآيات "**تنص متضافرة على أن لكل أمة رسولها، وعلى أن كل رسول لا يبعث إلا إلى قومه، وعلى أن الرسالة القرآنية التي بُعث بها الرسول محمد مشروطة لغويًّا بعروبة حاملها وبعروبة الأمة المحمولة إليها، وجغرافيًّا ب (أم القرى ومن حولها)؛ من دون أن يكون أصلًا لهذه الرقعة من الأرض من حدٍّ آخر سوى عروبة لسان قاطنيها**"(٣).

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص١١١).

(٢) المصدر السابق، (ص٢٩٣).

(٣) المصدر السابق، (ص١٠٠).

فالنص هو: محور منطلق طرابيشي بعد محاولته إخفاء الآيات الكثيرة الدالة على عالمية الإسلام، فهو نصي لتحقيق مآربه، ويخفي النص -أيضًا- لتحقيق مآربه، وهو حرفي لدرجة أن يجعل وصف القرآن العربي دلالة على نزوله للعرب خاصة، وأضيق حرفية عندما يجعل (أم القرى ومن حولها) مضيقة بالمعنى الجغرافي للكلمة، وهذا مناقض لما يدعيه من "**والحال: أن القرآن يبقى خطابًا مفتوحًا**"[(١)]، ولكن طرابيشي يغلقه لتحقيق غرضه؛ رغم بقوله: "**والخطاب المفتوح يُبقى بدوره باب التأويل مفتوحًا**"[(٢)].

فمفتاح التأويل بيد طرابيشي؛ يغلقه متى شاء، ويفتحه متى شاء!! وعندما فتح ابن حزم باب التأويل وخرج من حرفيته -كما يزعم طرابيشي!- لم يقبل طرابيشي ذلك، وأصر على حرفية النص، فعندما استدل ابن حزم رحمه الله -وقبله الإمام الشافعي رحمه الله- بقوله تعالى في سورة النجم عن نبيه ﷺ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم:٣-٤]، يصر طرابيشي بظاهرية مقيتة على اعتبار حرفية الزمان والمكان والحدث، ويرفض أن يبقى الخطاب مفتوحًا، ويغلقه بقفل الجمود؛ فيقول أن ابن حزم "**يتجاهل -مثله مثل الشافعي- كون سورة النجم سورة مكية، وكون الآيتين نزلتا قبل أن**

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٦١٩).

(٢) المصدر السابق، (ص٦١٩).

يكون للحديث ولمفهوم الحديث بالمعنى النبوي وجود"[١].

فتأمل كيف يجمد على اسم (**الحديث**)، وهو الذي يصف ابن حزم بأنه صاحب المذهب الاسمي!! ويمضي في حرفيته قائلًا: "**فالآيتان نزلتا في سياق المجادلة مع أهل مكة من مشركين وكتابيين؛ ممن أبوا تصديق بعثة الرسول، تنبيهًا لهم على أن الرسول حين ينطق بالقرآن فليس ينطق عن هوى، بل بما يؤتاه من وحي ربه.**

**وليس صعبًا أن ندرك أين يعاظل ابن حزم -كما الشافعي- في التأويل؛ فهو يطلق فعل (النطق)، ويفك الارتباط بينه وبين المنطوق به، أي: آي القرآن، ليصير يعني: أن كل ما هو منطوق به من قِبل الرسول إنما هو وحي من عند الله**"[٢].

ويوغل طرابيشي بظاهريته منكرًا استدلال العلماء بقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾[الحشر:٧] على اتباع السنة النبوية؛ فقال: "**نزلت آية طالما احتج بها الفقهاء والأصوليون اللاحقون ليبرروا تحويلهم للرسول من مشرَّع له إلى: شارع** -فذكر الآية الكريمة-، **فههنا**

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٣٧١).

(٢) المصدر السابق، (ص٣٧١).

**-أيضًا- يجمع أهل التأويل والمفسرون على أنها: نزلت في قسمة غنائم غزوة بني النضير"**[١]، ولكن طرابيشي الذي يلجأ للمفسرين لا يقبل تفسيرهم لبيان عموم الدعوة المحمدية لجميع البشرية، ويقيد النص بقيد السبب والحدث، وأما علماؤنا فيقولون: **"العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"**، فكل ما جاء عن رسول الله ﷺ فإنا مأمورون باتباعه شرعًا؛ إلا أن يدل الدليل على نسخه أو خصوصيته أو تقييده، وغير ذلك مما بينه الأصوليون.

ويتفوق طرابيشي على ابن حزم في ظاهريته واسميته؛ فلا يترك مسامًا يتنفس منه النص؛ فيقول: **"فالسنة حصرًا: سنة الله، وفي الوقت الذي تتكرر فيه عبارة (سنة الله) في النص القرآني ثماني مرات، فإن ست آيات تتوجه بالخطاب إلى الرسول مباشرة في ما يشبه الإنذار:** ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾[فاطر:٤٣]، **والغائب الأكبر في النص القرآني هو: تعبير (سنة الرسول) الذي سيحضر بالمقابل في كتب السيرة والتفسير والفقه والحديث حضورًا طاغيًا"**[٢].

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٧٣).

(٢) المصدر السابق، (ص٨٥).

فأي حرفية بعد هذه الحرفية!! وطرابيشي يدرك أن معنى (سنة الله) الواردة في الآيات الكريمة هي: عادته في معاقبة المكذبين المعرضين بعد إنذارهم، فسنة الله فيهم لا تتبدل ولا تتحول، قال ﷻ: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٢) اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤) ﴾ [فاطر:٤٣-٤٤].

وأما السنة النبوية المطلوب اتباعها، فهي: ما جاء به النبي ﷺ، والتي أذن الله له بتبليغها بتوجيه منه، وهي وإن لم ترد في القرآن الكريم بحرفية الكلمة -كما أراد طرابيشي!-، فالأمر باتباعها مقرون بطاعة الله بآيات متضافرة المعنى، ومنها: آية سورة الحشر -التي سبق بيان جمود آلة التأويل الطرابيشية عندها-، قال ﷻ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧)﴾[الحشر:٧].

فطرابيشي الذي خرج عن نص القرآن الكريم إلى متاهات التأويل عند طعنه في مقام النبوة في قصة زواج النبي ﷺ؛ لا يقبل إلا أن ترد لفظة (السنة النبوية) بحرفيتها وتركيبها، ثم تراه يخلط بين المصطلحين (سنة الله) و(السنة النبوية)، فهي **حرفية**

محرِّفة!

ويهاجم الإمام الشافعي الذي أعمل فكره في فهم القرآن عندما فسر كلمة (الحكمة) بـ (السنة)، ونقل ذلك عمن سبقه من أهل العلم، ويتهمه أنه: أراد أن يفرض رأيه[١]، ويتهمه بما جنته يداه عندما أخفى الآيات الكثيرة الدالة على عموم الرسالة الإسلامية لكل البشرية -فكل يرى الناس بعين طبعه-؛ فيقول عن الشافعي: "**بدلًا من أن يستقرئ الآيات الإحدى والثلاثين استقراءً تامًّا، أو حتى ناقصًا؛ غيَّب عن وعي قارئه أربعًا وعشرين آية، وأحضر له سبع آيات ليُلْبِسها من خلال ذلك التغييب وهذا الإحضار المعنى الذي أراد...**"[٢].

والشافعي ليس بحاجة لدرس في أخلاقيات المعرفة على يد طرابيشي؛ وخاصة أن طرابيشي هو الذي كان يخفي الآيات عن قارئه عند نفيه عموم الرسالة المحمدية، وادعى أن المفسرين لم يفوزوا إلا بآية واحدة في الموضوع، والشافعي -مبدع علم الأصول- لا يحتاج لدرس في المنهجية العلمية وأنواع الاستقراء التام والناقص.

والشافعي العربي الهاشمي القرشي ليس بحاجة لدرس في اللغة على يد طرابيشي، وهو الذي أخذ اللغة من قلب صحراء العرب ومن أفواه أهلها، لكن الشافعي

---

(١) انظر: «من إسلام القرآن» (ص١٧٧).

(٢) المصدر السابق.

الأصولي المفكر أوسع فكره لمدلول الآية؛ فرأى عطف (الحكمة) على الكتاب، فتوصل لهذا التفسير، وفكر طرابيشي الحداثوي تصلب؛ فتعطل، فاتهم الشافعي بإخفاء الآيات، فيقول: "**فماذا فعل صاحب «الرسالة» حتى يفرض التأويل الذي يريد فرضه؟ أو بتعبير أدق وأقسى: ماذا فعل حتى يمرر التأويل الذي يريد تمريره؟ بدلًا من أن يستقرأ الآيات الإحدى والثلاثين استقراءً تامًّا، أو حتى ناقصًا؛ غيَّب عن وعي قارئه أربعًا وعشرين آية وأحضر له سبع آيات ليُلبسها من خلال ذلك التغييب...**"[١].

فطرابيشي بحرفيته وجموده يطالب الشافعي باستدعاء كل آية وردت فيها كلمة (الحكمة) مع الكتاب من القرآن الكريم، وهذا عين (اللفظية) و(الاسمية)؛ فيتساءل: "**فلماذا لم تسمَّ بالاسم الذي يطابق هذا المعنى، أي: (السنة)**"؟[٢].

ويقول -بكل ظاهرية!-: "**فليس في معجم العربية ما يمكن أن يستدل منه أن الحكمة تعني: السنة، ولا السنة تعني: الحكمة**"[٣]، إلا أن مفكرًا واسع الأفق كالشافعي، يذكر الآيات التي تخاطب المسلمين والنبي ﷺ؛ ليدلل على ما يريد، فالقرآن

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص١٧٧).

(٢) المصدر السابق، (ص١٨١).

(٣) المصدر السابق، (ص١٨٢).

يعطف الكتاب على الحكمة لبيان امتنان الله ﷻ على المؤمنين ببعث النبي ﷺ إليهم، والعطف يقتضي المغايرة بين المتعاطفيْن، فيكون معنى الكتاب: القرآن الكريم، ومعنى الحكمة: السنة النبوية؛ كقوله ﷻ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[آل عمران:١٦٤].

ولكن طرابيشي يستغفل القارئ بحرفيته، ويطلب من الشافعي استدعاء جميع الآيات التي ورد فيها ذكر الكتاب والحكمة، ولو لم يكن الخطاب موجهًا مباشرة للمؤمنين، فالله ﷻ وصف عيسى عليه السلام بقوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾[آل عمران:٤٨]، وكغيرها من الآيات التي ذكرها طرابيشي[1]، وبديهة أن المقصود بهذه الآيات ليس السنة النبوية، فلماذا سيذكرها الشافعي؟!! فمن يستغفل من؟!!

وتمضي ظاهرية طرابيشي حسب -هواه!-؛ فينكر على الإمام الشافعي استدلاله بالآية الكريمة: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[النحل:٨٩]، على بيان القرآن الكريم لأحكام النوازل، في قوله: "**أن مدار الآية-يعني**: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ

---

(١) انظر: «من إسلام القرآن» (ص١٧٩).

أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ [النحل:٨٩]- **كما هو واضح من مساقها بتمامها، هو :على الحساب يوم الحساب. وهي بذلك تتمم الآية التي تسبقها مباشرة:** ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل:٨٨]، **فالتبيان الذي تتكلم عليه الآية ليس تبيان كل شيء من أمور الدنيا، بل تبيان كل شيء من أمور الآخرة والمحاسبة يوم الآخرة"**[1].

ويقول: "**فهذه السورة -كما هو معلوم -من الآيات المكيات، وفي الطور المكي لم يكن القرآن قد تضمن بعد أية أحكام بصدد نوازل الدنيا، فمداره كله على الآخرة بنعيمها، وعلى الأخص بجحيمها**"[2]، فطرابيشي ضيّق معنى الآية بمكيتها، وحصر معناها باليوم الآخر، والشافعي بسعة فكره أخرجها من دائرة الزمان والمكان إلى دائرة الفاعلية بالحياة؛ فمن صاحب العقل النصي؟!!

ومن عجيب ظاهرية طرابيشي: إنكاره على الإمام الشافعي استدلاله بقوله ﷻ:

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٢٤٧-٢٤٨).

(٢) المصدر السابق، (ص٢٤٨).

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ٣٦﴾[القيامة:٣٦] على نفي الاستحسان ؛لأن الله لم يترك الإنسان بغير أمر أو نهي، فلا يترك سدى، فيتهمه طرابيشي بممارسة إنزياحية بـ "توظيف آية قرآنية هي: الآية (٣٦) من سورة القيامة، في المنحى الإنزياحي نفسه الذي كان وظّف الآية (٨٩) من سورة النحل؛ ذلك أن الآية لا تمت بصلة من قريب أو بعيد إلى إشكالية مصادر الحكم والقياس في النوازل الفقهية...

وهي نزلت كما يدل (اسمها)! في المشككين في يوم القيامة؛ وفي ما ينتظر المكذبين بالله وبرسالة رسوله من عذاب يوم الحساب...

وهي من مكيات القرآن التي كان مدارها الأول على الإيمان والكفر، أو التصديق والتكذيب ببعثة الرسول، يوم لم تكن جماعة المؤمنين قد تكونت بعد ليستدعي تكوُّنها نزول الأحكام في القرآن المدني"[1].

فطرابيشي يسد فسحة فهم النص بإعمال العقل، وتوسيع مدلول النص عن حرفيته إلى رحابة الاستنباط والتعقل، فعلماء المسلمين إذا أخذوا بالنص نعتهم طرابيشي بـ (وثنية النص)! وإذا تأولوا النص وصفهم بـ (الإنزياحية)!!

ونختم بمقارنة بين ظاهرية ابن حزم رحمه الله وظاهرية طرابيشي؛ ليحكم القارئ أيهما أشد حرفية: فقد استدل ابن حزم -كما نقل طرابيشي عنه- على بطلان القياس

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٢٥٧).

بقوله ﷻ: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[الأنعام:٣٨]، وقوله ﷻ: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[النحل:٨٩]، فلا يحل القول بالقياس في الدين ولا بالرأي، لأنه لا يختلف أهل القياس والرأي أنه لا يجوز استعمالهما ما دام يوجد نص، وقد شهد الله ﷻ بأن النص لم يفرط فيه شيئًا، وأن الدين قد كمل، فصحّ أن النص قد استوفى جميع الدين؛ فإن كان كذلك فلا حاجة بأحد إلى قياس، ولا رأيه، ولا إلى رأي غيره[(١)].

هكذا نرى الإمام ابن حزم رحمه الله لم يحبس نفسه في زمن نزول الآيتين المكيتيْن بل تجاوزهما لاستخراج مدلول أوسع من النص؛ فوسع دائرة فهم الآية، ولكن طرابيشي حجّر واسعًا، وضيّق بحرفيته فهم النص؛ فرد على ابن حزم قائلًا: **"ولن ندخل في نقاش حول مضمون الآيتين...**

**إنما حسبنا أن نشير إلى أن الآيتيْن كلتيهما مكيتان، ولا صلة لهما -بالتالي- بالنوازل، وأحكامها التي عليها حصرًا مدار الآيات المدنية، كما أن السياق الذي وردتا فيه -والذي يضرب عنه ابن حزم صفحًا- هو: سياق المحاسبة يوم الحساب، وبالتالي سد الذرائع في وجه من قد يقول في ذلك اليوم أنه كان يجهل؛ مع أن الكتاب نُزِّل (تبيانًا لكل شيء)"**[(٢)].

---

(١) انظر: «من إسلام القرآن» (ص٣٣٢).

(٢) المصدر السابق.

وأشد من ذلك! فإن طرابيشي يوغل بالاسمية واللفظية؛ فيقول: "**ثم أننا لسنا متيقنين أصلًا أن المعني بـ (الكتاب) في الآية (٣٨) من سورة الأنعام هو: القرآن، وأغلب الظن أن المقصود هنا: قدر الله وقضاؤه، المكتوب منذ الأزل، والساري على جميع مخلوقاته من بشر وحيوان، وذلك (هو المنطوق) الذي تفصح عنه الآية؛ متى أخذناها بتمامها في سياقها، ولم نجتزئها؛ كما اجتزأها ابن حزم ومن قبله الشافعي،** ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾[الأنعام:٣٨]"[1].

ولسنا بصدد الدخول بخلاف المفسرين حول معنى الكتاب الوارد في الآية الكريمة، وما يهمنا: كيف يعيب طرابيشي التأويلي الحداثوي على ابن حزم تأويله للنص؛ ليوسع دائرة الاستدلال منه خروجًا عن ظاهريته المعهودة، ويتصلب طرابيشي في منطوق النص، ويجمد على واقعة الزمان والمكان، مصرًا على أن مكية السورة لا تقبل إعمالها في غير ذلك؟ وابن حزم الظاهري يترفع عن مثل هذا الجمود الفكري، فأيهما أشد ظاهرية؟!!

وفي خيانة من طرابيشي لأيدليوجيته الحداثوية التأويلية: يرفض طرابيشي تأويل ابن

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٣٣٢).

حزم رحمه الله لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[النساء: ٥٩] ؛ فقال أن أولي الأمر هم: أهل العلم[١]؛ فقال: "**ويكاد لا يحتاج لبيان أن ابن حزم يضرب هنا صفحًا عما انعقد عليه إجماع أهل التفسير وأسباب النزول من أن: الآية نزلت على الأرجح في الحرب وقسمة غنائمها، وأن المعنيين بأولي الأمر...: (أمراء السرايا)**"[٢].

فحرفية طرابيشي لا تقبل إدخال أهل العلم في مسمى: أولي الأمر، معتمدًا على الإجماع في تفسير الآية، وضرورة حصرها في سبب نزولها، وإغلاق جميع منافذ الفكر فيها، مع أن ابن حزم لم ينفرد بذلك؛ فجمع من العلماء يقولون هم: العلماء والأمراء.

والإجماع الذي يتكأ عليه طرابيشي في نقده لابن حزم؛ هو ذاته: الإجماع الذي ينقض كتاب طرابيشي من أساسه، فالعلماء مجمعون على أن المقصود بطاعة الرسول الواردة في الآية: اتباع السنة النبوية، وهو الإجماع الذي يهدم ما ادعاه من التحول **من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**، ولو أتم طرابيشي الآية لاتضح له ذلك، فالله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى

(١) انظر: «من إسلام القرآن» (ص٣٧٥).

(٢) المصدر السابق، (ص٣٧٤).

ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾[النساء:٥٩]، فالله ﷻ أمر عند التنازع بالرجوع لكتابه الكريم وسنة نبيه ﷺ، فالعلماء والأمراء عليهم الرجوع للكتاب والسنة عند الاختلاف.

وهكذا نرى الأستاذ جورج طرابيشي يكون ظاهريًّا متى شاء!! وأصوليًّا يأخذ بالإجماع متى شاء!! ويدعي القرآنية متى شاء!! وتراثيًّا يعتمد على الأحاديث متى شاء!! وهكذا هي الشخصية الانقلابية، لا تنقلب على مبادئها فحسب بل تتقلب بحسب أهوائها؛ لتحقيق مآربها الأصولية الأولى!




# الفَصْلُ الخَامِسُ



## لماذا الشافعي؟!



ولماذا يتفق جميع الحداثويين على دراسة الشافعي؟!! ما الذي ميّز الشافعي؟

ففي دراسة للدكتور أحمد قوشتي بعنوان: «موقف الاتجاه الحداثي من الإمام الشافعي»[1]، يلوح في الأفق أسماء كبار القوم وعلى رأسهم: الأستاذ طرابيشي، ومن خلال اطلاع سريع على أسلوب القوم في دراسة الشافعي؛ نرى تفوق طرابيشي عليهم في حدته وجرأة قلمه إلى حد يخرجه عن أدب الحوار والنقاش؛ كاتهامه للشافعي -وحاشاه- بالتحريف والتمحل وتعمّد إخفاء المعلومات والتلاعب وغيرها من العبارات الجارحة، التي تمثل إلى أي حد وصل طرابيشي من الانسلاخ عن أمته، والقطيعة مع روادها وقادة الفكر فيها.

**موقع الشافعي في كتاب طرابيشي:**

يعد الفصل الرابع أطول فصول الكتاب، تحت عنوان: **(الشافعي: تكريس السنة)**، من صفحة (١٧٩) إلى صفحة (٢٧٢)، ولا عجب في ذلك؛ فالشافعي هو قائد الانقلاب الأول الذي كرس دور السنة في حياة المسلمين؛ عندما جعلها وحيًا موازيًا لوحي القرآن الكريم -كما زعم طرابيشي!-.

ومع استحواذ الشافعي على الفصل الأكبر من الكتاب إلا أن شخص الشافعي بقي

---

(١) قوشتي، أحمد قوشتي، «موقف الاتجاه الحداثي من الإمام الشافعي»، مركز التأصيل للدراسات والبحوث-جدة، الطبعة الأولى، (١٤٣٧هـ-٢٠١٦م).

حاضرًا في عدد من فصول الكتاب، فعند حديثه عن الإمام مالك في الفصل الثالث، سعى الأستاذ طرابيشي لافتعال صراع بين الإمام الشافعي والإمام مالك[1].

وفي الفصل السادس الذي خصصه للحديث عن الإمام ابن حزم، يبين ارتباط ابن حزم بالشافعي، والمزايدة عليه في رفع شأن السنة[2]، واستكماله لمشروع الإمام الشافعي الانقلابي "**ومع هذا التحول الخطير من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث تكتمل أبعاد الانقلاب (الظاهري) الذي دشنه الشافعي واستأنفه ابن حزم، فيما يكاد أن يكون انقلابًا على الانقلاب في (نشأة ثانية)**"[3].

وفي الفصل الأخير من الكتاب: (انتصار أهل الحديث)، وعند حديثه عن الإمام أحمد المؤسس الثاني للسنة -كما يصفه طرابيشي-[4]، سيظهر الشافعي بقوة، فلولا توسيط الشافعي لأحمد ما أصبح إمامًا لأهل السنة[5]! ثم بين العلاقة بين "إمام أهل السنة " بـ "ناصر السنة"[6]، ودورهما -بما يسميه طرابيشي: تضخم المدونة الحديثية-،

(١) انظر: طرابيشي، «من إسلام القرآن» (ص١٢٥-١٢٦، ١٦١، ١٦٦، ١٧١).

(٢) انظر: المصدر السابق، (ص٣٧٠).

(٣)انظر: المصدر السابق، (ص٣٨٧).

(٤) انظر: المصدر السابق، (ص٥٠١).

(٥) انظر: المصدر السابق، (ص٥٠٢).

(٦) انظر: المصدر السابق، (ص٥٠٥).

فالإمام أحمد هو المسؤول الثاني بعد الشافعي عن ذلك[١].

وعلى ذلك؛ فالشافعي هو الخصم الأول لطرابيشي، فيكيل له الاتهامات، ويصفه بما لا يوصف -كما سيأتي-، ولا عجب أن يقدم الأستاذ طرابيشي فصل الإمام الشافعي على الفصل الخامس: (فصل الإمام أبي حنيفة)، بعيدًا عن التسلسل التاريخي والمنطقي للأحداث، وذلك لقوة حضور الشافعي في ذهن طرابيشي لحد الهوس! فالانقلاب الذي نفذه الشافعي في الإسلام يشبه انقلاب بولس الرسول في المسيحية[٢].

**دوافع طرابيشي لانتقاد الشافعي.**

لا تنفك دوافع طرابيشي لانتقاد الإمام الشافعي عن غاية تأليف طرابيشي لكتابه «**من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**»[٣]، وذلك أن الشافعي هو الريادي الأول في هذا الانقلاب الذي حول الإسلام من إسلام قرآني إلى إسلام حديثي، فيجمل دور

---

(١) انظر: طرابيشي، «من إسلام القرآن» (ص٥٣٧).

(٢) انظر: المصدر السابق، (ص٢١٩).

(٣) وهناك غاية استبطنها طرابيشي، وهي: إنكار عالمية الدعوة الإسلامية لكل البشرية؛ حيث أظهر "قرآنيته" لتمرير هذه الغاية، ولذلك عنون الفصل الثاني: (من النبي الأمي إلى النبي الأممي)، مدعيًا أن عموم الرسالة المحمدية لكل البشر كان على يد أهل الحديث!! مخالفًا بذلك الآيات الصريحة في إثبات عموم الرسالة لكل البشرية، فسقط بذلك عنوان كتابه، فلو كان هدفه: إرجاع الأمة لإسلام القرآن؛ لماذا غيّب عن قارئه كل هذه الآيات!!

الشافعي بقوله: "**أفنغالي إذا قلنا: إن الشافعي نفذ انقلابًا حقيقيًّا على الصعيد اللاهوتي والإبتسمولوجي معًا؛ عندما جعل للسنة الرسولية نصابًا إلهيًّا، وبوأها منزلة الأصل مع الكتاب...**"[١]، "**ولا يعسر علينا أن ندرك خطورة النتائج المترتبة على هذا الانقلاب -والتعبير لا يبدو لنا مبالغًا فيه- الذي نفذه الشافعي...**"[٢].

**وأما تفصيلًا:**

**١- وضع الشافعي قانونًا كليًّا يضبط للتعامل مع القرآن الكريم والسنة المطهرة:**

يقول طرابيشي: "**فالدور الذي اضطلع به الشافعي لم يكن مجرد دور: المنظم الذي يصوغ في قانون كلي ما يعرفه سائر الناس بمحض الطبع، بل كان إذا استعرنا لغة الحركات الانقلابية الحديثة، مؤسسًا لـ (جمهورية جديدة)**"[٣].

وهذا القانون الذي ضبطه الشافعي، واعتمدته الأمة بعد الشافعي، وحاول طرابيشي التشغيب عليه بافتعال معارك بين الشافعي و الإمام مالك، ومن قبله السادة

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص١٩٤).

(٢) المصدر السابق، (ص٢٧٢).

(٣) المصدر السابق، (ص١٩٥).

الحنفيـة، وإن اختلفـوا في بعـض القـضايا الأصـولية، لكـنهم مجمعـون عـلى المـصادر التشريعية الأربعة: الكتاب والسنة والإجماع والقيـاس؛ التـي ذكرهـا الـشافعي، وتقنـين الشافعي له يسد باب العبث الذي يريده أهل الحداثة للتفلت من النصوص الشرعية.

ثم لم يقل لنا طرابيشي من الذي اعترض على هذا القانون من علماء المسلمين؛ حتى جاء رجل الحداثة ليكتشف لنا خطورة ما صنعه الإمام الشافعي؟!

## ٢- تأكيد الشافعي على دور السنة التشريعي:

وهـذا -أيـضًا- سبق إليـه الـشافعي مـن التـابعين والـصحابة الكـرام، ومـن قـبلهم النبي ﷺ، وبأمر مـن الله ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[الحشر: ٧]، وأجمعـت عليـه الأمـة، لكـن طرابيـشي يـوحي لقارئـه: أن ذلـك كـان بفعـل الإمـام الشافعي؛ فيقول: "**والواقع أن تكريس السنة شريكة في المصدر كما في الجوهر للكتـاب، وبالتـالي في الأهليـة التـشريعية، يقـوم لكـل مـشروع الـشافعي في «الرسالة» مقام العمود الفقري**"[(١)].

وكتاب طرابيشي قـائم عـلى نفـي صـفة التـشريعية عـن الـسنة، بـل النفـي الوجـودي للسنة؛ فلذلك هاجم الشافعي في كتابه.

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص١٨٣).

### ٣- مصدرية السنة (وحي السنة):

يعترف طرابيشي أن هناك من سبق الشافعي في إثبات وحي السنة، لكن مشكلة طرابيشي مع الشافعي: أنه جعلها في جسم نظري متماسك؛ فيقول: "**ولكن رغم وجود متقدمين على الشافعي من (أهل العلم) سبقوه إلى القول بوحي السنة، فإن أقوالهم كانت ستبقى مجرد أقوال متناثرة هنا وهناك لولا أن الشافعي أسسها في جسم نظري متماسك.**

**ومن هذا المنظور نستطيع أن نقول: إن الشافعي في تكريس السنة وحيًا مقارنًا لوحي القرآن لم يكن ابن عصره بقدر ما كان صانع عصره**"[(١)].

ويقول: "**فالسنة صارت كتابًا مع الكتاب، وأحيطت بمثل هالة الوحي التي تحيط بالتنزيل**"[(٢)].

والحداثي يريد إلغاء صفة الوحي عن السنة لينزع قدسيتها في قلوب المسلمين، فهذه القداسة حاجز في وجه الحداثة!

### ٤- تأكيد الشافعي على حجية خبر الواحد الثقة:

يقول طرابيشي: "**قد لا نغالي إذا قلنا: إن الشافعي لم يكن مؤسسًا لعلم أصول**

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص١٨٦).

(٢) المصدر السابق، (ص١٩٥).

**الفقه في الإسلام فحسب، بل كان كذلك -وقبل ذلك- مؤسس نظرية المعرفة في الإسلام"**[١]، وذلك لأنه وضع تأسيس نظري متكامل في كتاب «الرسالة» من خلال الباب المطوّل الذي أفرده تحت عنوان: (خبر الواحد)[٢].

والشافعي إنما نقل الأدلة على ذلك من الكتاب الكريم والسنة النبوية والإجماع[٣]، فالقول بحجية خبر الواحد لم يكن محل خلاف حتى ظهور المعتزلة في القرن الثاني.

نعم؛ قد يختلفون في تقديمه أو تأخيره في نقاشاتهم العلمية بحسب قرائن الترجيح، ولم يقل أحد قبل المعتزلة بعدم حجية خبر الواحد، وإثبات خبر الواحد يسقط نظرية طرابيشي كاملة، ويلغي ما زعمه من تحولات وانقلابات من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث.

## ٥- تشكيك طرابيشي في مصداقية دور العلماء في جمع السنة:

فالشافعي بعبقريته قارن بين اللغة والسنة من حيث القدرة على جمعها؛ فيقول: "ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبًا، وأكثرها ألفاظًا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص١٩٥).

(٢) انظر: المصدر السابق، (ص١٩٦).

(٣) انظر: الشافعي، «الرسالة»، الشافعي، محمد بن إدريس، المكتبة العلمية-بيروت، تحقيق أحمد شاكر، دون سنة الطبع، (ص٣٦٩ و٤٠١)، (الحجة في تثبيت خبر الواحد).

إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها؛ حتى لا يكون موجودًا فيها من يعرفه"[1].

ثم قال عن السنة: "والعلم به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه، لا نعلم رجلًا جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيء، فإذا جُمع علم عامة أهل العلم بها أتى على السنن، وإذا فُرِّق علم كل واحد منهم ذهب عليه الشيء منها، ثم ما كان ذهب عليه منها موجودًا عند غيره"[2].

وهذا لم يعجب طرابيشي! لأن اللغة دومًا من صنع الجماعة التي تنطق بها، أما السنة فهي في الأصل سنة الرسول فردًا مفردًا، ولكن مع تقرير جماعية السنة بالمماثلة مع جماعية اللغة لا تعود سنة الرسول هي ما صدر عن الرسول بشخصه وفي زمنه، بل كل ما نسبه الناسبون إليه وما تراكم قاموسه كتراكم قاموس اللغة طردًا مع تباعد الأجيال والأمصار[3].

فانظر كيف يقيس الشافعي موضوع جمع اللغة على جمع السنة من حيث الاتساع، ثم انظر مماحكة طرابيشي لقياس الشافعي؛ فيخلص إلى القول أن الشافعي يقرر (جماعية

---

(١) «الرسالة»، فقرة (١٣٨)، (ص٤٢).

(٢) المصدر السابق، فقرة (١٣٩ و١٤٠)، (ص٤٢-٤٣).

(٣) انظر: «من إسلام القرآن» (ص٢٥٠).

السنة)[١]، أي: أنها من صنع الجماعة المسلمة، وليست سنة النبي ﷺ.

### ٦- اعتراض طرابيشي على القول بوسطية الشافعي بين أهل الرأي وأهل الحديث:

رفض الأستاذ طرابيشي ما ذكره الباحثون من أن الشافعي قام بالتوفيق بين أهل الرأي وأهل الحديث؛ من خلال إعماله للنقل والرأي، والجمع بين الأثر والقياس، فالشافعي لم يعقد صلحًا بين أهل الحديث وأهل الرأي بل كتب الغلبة النهائية لأهل الحديث[٢].

ويقول: "**فجناح العقل قد استؤصل من جذوره، وثانيًا: لأن الجناح الباقي ونعني: جناح النقل، قد غذي وأعطي من شروط النماء ما يعود يكفيه للطيران بمفرده**"[٣]، فطرابيشي يقصد: العقل الحداثي الفلسفي، وليس العقل الاجتهادي الذي أسس أركانه علماء المسلمين؛ فجمعوا بين العقل والنقل بصيغة توافقية تكاملية؛ كما فعل الإمام الشافعي، فهو ليس بحاجة لشهادة طرابيشي له بالوسطية.

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٢٥٠).

(٢) انظر: المصدر السابق، (ص٢٦٤).

(٣) المصدر السابق، (ص٢٦٤).

**٧- افتعال طرابيشي لفئة "أهل القرآن" في الصدر الأول من الإسلام ومقاومة الشافعي للقرآنيين:**

قال طرابيشي: **"ومع تحوله -أي: الإسلام- من الرسالة إلى الفتوحات، عن مكر التاريخ؛ فالإسلام الذي خرج في طور أول إلى الفتوحات حاملًا الرسالة القرآنية ارتد بعد الفتوحات، وفي طوره الثاني: نحو نفسه محملًا بما سيتم تكريسه تحت اسم السنة النبوية، ففي الصدر الأول، وقبل أن تستقر الفتوحات بعض الاستقرار: لم يكن للإسلام من أهل آخرين سوى أهل القرآن، ولكن بعد أن أتت الفتوحات أكلها؛ ظهر أهل السنة، وانتزعوا الغلبة تدريجيًّا لأنفسهم ولمصطلحهم، حتى لم يعد تعبير الأهل القرآن دارجًا في الاستعمال..."**(١).

نعم؛ صدق أو لا تصدق (القرآنيون) في (الصدر الأول)!! ويظهر من العبارة أنهم: الصحابة الأوائل ﷺ، وأنه يتحدث -على أقل تقدير- عن زمن الخلفاء الراشدين، وسنسلم لطرابيشي بذلك، لكن من هم الذين قادوا الانقلاب؟ وكيف حدث؟!! هل سكت أهل القرآن عن هذا الانقلاب؟

ثم يذكر أوصافهم قائلًا: **"صدرت هذه المقاومة عمن يمكن تسميتهم بـ**

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص١٠١).

**(القرآنيين)، وإن كان يصعب تحديد هويتهم بعد محق آثارهم، ونقصد بـ (القرآنيين): من اعتبروا الكتاب وحده -دون السنة المستلحقة به- المرجع الوحيد في البيان الإلهي"**[1].

ثم بعد ذلك يكشف لنا عن هويتهم؛ حيث إن الشافعي أشار إليهم، بما أفرده الشافعي تحت عنوان: (باب حكاية قول الطائفة التي ردت الأخبار كلها [أي: الأحاديث]) في كتاب (جماع العلم) من كتاب «الأم»[2]، وذكر طرابيشي -في هامش الكتاب[3]- **"إن المعنيين بهؤلاء (الأصحاب):المعتزلة، ولكن لا يستبعد -أيضًا- أن يكونوا من الخوارج"**، ومن المعلوم أن ظهور فكر الاعتزال كان في أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني، وطرابيشي يقول: إن القرآنيين كانوا في الصدر الأول، وإن الحديثين انقلبوا عليهم فحولوا الإسلام من **إسلام القرآن إلى إسلام الحديث.**

**وهذا سيظهر زيف دعواه من جهتين:**

أن قصة الشافعي مع مناظره كانت تقريبًا في أواخر القرن الثاني؛ مما يجعل الفجوة

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص١٨٦).

(٢) انظر: المصدر السابق، (ص١٨٧)، وانظر: الشافعي، محمد بن إدريس، كتاب «الأم»، دار المعرفة-بيروت، (١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، (٧/ ٢٨٧).

(٣) «من إسلام القرآن» (ص١٨٧).

الزمنية كبيرة جدًّا بين الصدر الأول وزمن الشافعي.

والثاني: أن الشافعي والمحدثين هم من انقلب على القرآنيين، وهذا يعني: أن السلطة الحاكمة والسلطة المعرفية كانت بيد القرآنيين ثم انتزعها أهل الحديث منهم، والتاريخ لا يذكر ذلك لا من قريب ولا من بعيد! بل إن الشافعي في (جماع العلم) بعد ذكره للصنف الأول: (باب حكاية قول الطائفة التي ردت الأخبار كلها)، ذكر الصنف الثاني: (من رد خبر الخاصة)[١]-أي: الآحاد-.

ومن المعلوم أن المعتزلة هم من يشترط تواتر الأخبار، فاتضح من ذلك: مراوغة الأستاذ طرابيشي بافتعاله لفكرة (أهل القرآن) في الصدر الأول، وتبين أنه لا وجود لهم إلا في مخيلته، وانكشف عوار عنوان كتابه «**من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**»، فالإسلام منذ بعثة النبي ﷺ هو إسلام واحد: إسلام الكتاب الكريم والسنة المطهرة.

### ٨- إغلاق الشافعي- بزعمه- لخطاب القرآن المفتوح:

فطرابيشي يريد فتح باب تأويل القرآن الكريم بغير ضوابط علمية، وفك الارتباط بين الوحيين، وإقصاء السنة عن فهم كتاب الله ﷻ، مما يفتح بابًا للتأويلات الباطنية، والقول في كتاب الله بغير حجة، وتأويل القرآن بصورة غير علمية، وهذا سبب لهجوم الحداثيين على السنة النبوية؛ وذلك أن السنة تضبط تأويل القرآن، وتبعد المفسر عن

---

(١) انظر: الشافعي، «الأم» (٧ / ٢٩٢).

الشطط في فهم القرآن الكريم، فمتى أبعدت السنة عن فهم القرآن الكريم؛ ولج أهل الأهواء من هذا الباب، فإن السنة شارحة للقرآن وموضحة له، وقال الإمام الشافعي: "كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن"[١].

فطرابيشي يصف خطاب القرآن بأنه: مفتوح للتأويل غير المنضبط، فيتهم الشافعي بأنه قام بـ: **"تصليب القرآن وتغليق لمسامه على أيدي الشافعي وكل من تابعه من بعده في التحول من الإسلام القرآني بخطابه المفتوح إلى الإسلام الحديثي، وبالتالي الفقهي؛ بنصوصه المغلقة وأحكامه المتصلبة التي أوصدت"**[٢].

فهذا هدف واضح لطعن الحداثيين للشافعي؛ لأنهم يريدون تفسير القرآن بحسب أهوائهم، فهو مفتوح لكل الآراء ولو كانت مخالفة لثوابت الإسلام وإجماع الأمة؛ فلذلك يؤولون القرآن كما يشتهون! ويرون أن السنة تقيدهم عن ذلك؛ فكان خصمهم الأول الإمام الشافعي!

فهذه الأسباب التفصيلية لطعن الأستاذ طرابيشي بالإمام الشافعي، ففكر جورج طرابيشي الحداثي لا يقبل جهود للإمام الشافعي في تأكيد دور السنة في حياة الأمة،

---

(١) انظر: «مقدمة في أصول التفسير»، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، الطبعة الثانية، (١٣٩٢هـ-١٩٧٣م)، (ص٩٣).

(٢) «من إسلام القرآن» (ص٢٢٨).

وذلك أن الإمام الشافعي قد وضع تاريخ العقل وراءه لا أمامه، وأسقط عنه صفة التاريخية ليحيطه بهالة المقدس الذي يحكم التاريخ ولا يحكمه التاريخ[1].

**استراتيجيات طرابيشي في طعنه للشافعي.**

للوهلة الأولى سيقع قارئ جورج طرابيشي في مصيدة الأسلوب العلمي الناقد، وذلك بما امتلكه الأستاذ طرابيشي من قدرة على استعمال المصطلحات العلمية الشرعية والفلسفية، واطلاعه الواسع على التراث الإسلامي، والأسلوب الأدبي في الطرح، لكنه سيكتشف بعد ذلك فن المماحكة الذي أتقنه جورج طرابيشي مع خصومه.

**وهذا ما فعله في نقده للإمام الشافعي، متبعًا لذلك عدة استراتيجيات:**

**١) اغتيال شخصية الإمام الشافعي العلمية:**

فطرابيشي بما عرف عنه من قدرة على التحليل النفسي يعلم مكانة الشافعي العلمية والتاريخية والريادية، فلجأ إلى توهين مكانة الشافعي في قلوب المسلمين؛ باستعمال أقذع العبارات في وصف الشافعي، ليوصل القارئ لمرحلة التساؤل: أهذا هو الشافعي الإمام، فإذا كان الإمام -وحاشا الشافعي- بهذا المستوى؛ فما بال سائر علماء المسلمين؟!!

وهذه الإستراتيجية ضمن إستراتيجية أخطر وهي: توهين قدر علماء الأمة، فلم

---

(١) انظر: جورج طرابيشي، «من إسلام القرآن» (ص٢٧٢).

يسلم من وقاحة قلمه عالم من علماء المسلمين، ومن لم يصرح بالقدح به فإنه يظهره بمظهر المغفل الذي لا يملك من أمره شيئًا؛ كما أظهر السادة الأحناف في استسلامهم لسطوة أهل الحديث.

**وإليكم قائمة بعبارات طرابيشي الموجهة للإمام الشافعي:**

فيتهمه بالتحريف قائلًا: "**أما لماذا حرّف الشافعي وقائع السيرة هذا التحريف؟**"[١].

والشافعي يريد تمرير ما يريده وفرضه بغير علمية؛ فيقول: "**فماذا فعل صاحب «الرسالة» حتى يفرض التأويل الذي يريد فرضه؟ أو بعبارة أدق وأقسى: ماذا فعل حتى يمرر التأويل الذي يريد تمريره؟**"[٢].

كما أن الشافعي -بزعمه!- يموه ويلتف على الحقائق العلمية؛ فيقول: "**والواقع أنه حتى عندما يصطدم الشافعي بأحاديث (صحيحة) على شرط تنقض دعواه عن المصدر الإلهي للسنة، وتؤكد على العكس بشريتها وبشرية الرسول الصادرة عنه؛ فإنه لا يعدم وسيلة للالتفاف على مضمونها المناقض**"[٣].

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٢٠٦).

(٢) المصدر السابق، (ص١٧٧).

(٣) المصدر السابق، (ص١٨٩).

ومن أقبح ما قال في حق الشافعي: "**ولا يتحرج الشافعي بعد هذا من محاولة تبرير تهاونه في شروط الرواية يمكن أن يدخله بعضهم في باب تواضع العلماء، مثلما قد يرى بعضهم الآخر أنه: مما يصح فيه القول إنه: أقبح من الذنب**"[١].

كما يصف الشافعي بتعمد إخفاء الحقائق وتغييبها عن القارئ فـ "**بدلًا من أن يستقرئ الآيات الإحدى والثلاثين استقراءًا تامًّا، أو حتى ناقصًا؛ غيَّب عن وعي قارئه أربعًا وعشرين آية، وأحضر له سبع آيات؛ ليُلْبِسها من خلال ذلك التغييب وهذا الإحضار المعنى الذي أراد**"[٢].

وفي ذات السياق يقول: "**ولا كذلك في باقي الآيات التي تعمّد ألا يستشهد بها**"[٣].

وأباح طرابيشي لنفسه أن يتهم الشافعي بتهمة التلاعب: "**ولعله قد يكون مباحًا لنا أن نستبق هنا نتائج بحثنا لنقول: إن الشافعي بتأسيسه آلية الناسخ والمنسوخ؛ قد أطلق من قمقمه عفريت التلاعب بالنص القرآني**"[٤].

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٢٠٠).

(٢) المصدر السابق، (ص١٧٧).

(٣) المصدر السابق، (ص١٧٩).

(٤) المصدر السابق، (ص٢٠٨).

ويقول: "**وحتى يتضح لنا هنا هذا التلاعب المزدوج بمنطوق الآية وبمعنى الإحصان**"[١].

والشافعي بقلم طرابيشي متمحل بـ"**إصراره منه على أن حديث الرجم قد نسخ آية الجلد؛ يتمحل تمحلًا شديدًا! ليثبت أن الإحصان الذي تتحدث الآية (٢٥) من سورة النساء هو: إحصان الإسلام، لا إحصان الزواج**"[٢].

ويتهم الإمام الشافعي باقتطاع الآية من سياقها: "**ولعل ذلك ما يفسر أن الشافعي حين ساق الآية؛ ما ساقها بتمامها، بل أجرى اقتطاعًا في سياقها ونصها معًا**"[٣].

**٢) إستراتيجية خلط الأوراق:**

وهذا فن يتقنه الأستاذ طرابيشي ببراعة فائقة! فعند رده على احتجاج الشافعي برواية: أن النبي ﷺ قال عام الفتح: «**لا وصية لوارث**»[٤]، ناقش طرابيشي زمن الحديث (عام الفتح)، مبينًا خطأ هذه اللفظة، مقدمًا ما جاء في رواية أخرى (حجة الوداع).

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٢٢٩).

(٢) المصدر السابق، (ص٢٢٩).

(٣) المصدر السابق، (ص٢٣٠).

(٤) «الرسالة» (ص١٣٩)، فقرة (٣٩٨).

وهنا يقبل ترجيح رواية على رواية، مع أن الشافعي أشار لضعف روايته[١]، لكن طرابيشي يخلط الأوراق، ويستغل ورود حديث (حجة الوداع) ليدخل في جدلية طائفية لا علاقة لها بموضوع الشافعي، ويذكر اختلاف أهل السنة والشيعة بذكر: «**عليكم بكتاب الله..**» و«**بسنتي**» أم «**بعترتي**»؟

## ٣) تضخيم مسألة أهل الرأي وأهل الحديث:

وهذا منهج إستشراقي قبل أن يكون حداثيًّا، فنجد الحداثيين يضخمون مسألة اختلاف أهل الرأي وأهل الحديث، ويبنون عليها صراعًا في مخيلتهم، ويصورون أهل الرأي بأنهم أبعد الناس عن الأخذ بالسنة؛ مع أنهم يحتجون بالسنة، ولكنهم كانوا يحتاطون لذلك لشيوع الكذب في العراق، كما يصورون أهل الحديث بالجمود العقلي، ولكن لسعة الرواية في الحجاز ضيقوا الرأي.

وهذه أحوال موضوعية أدت لاختلاف في منهج الاستنباط، وأولويات الاستدلال، وكان ذلك من أسباب إثراء الفقه الإسلامي، ومما يدل على عدم ضخامة الأمر: الاختلاف في الذي أشار إليه الأستاذ طرابيشي حول الإمام مالك رحمه الله ومن أي المدرستين يكون[٢].

---

(١) فقرة (٤٠٠).

(٢) انظر: «من إسلام القرآن» (فصل: مالك بن أنس، هامش من الحرية)، (ص١٠٩).

## ٤) استنتاجات واهمة:

فالأستاذ طرابيشي يستنتج أوهامًا ويلزم بها الإمام الشافعي! فلما قال الشافعي: "ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبًا، وأكثرها ألفاظًا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها؛ حتى لا يكون موجودًا فيها من يعرفه"[١]، ثم قال عن السنة: "والعلم به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه، لا نعلم رجلًا جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيء، فإذا جُمع علم عامة أهل العلم بها أتى على السنن، وإذا فُرِّق علم كل واحد منهم ذهب عليه الشيء منها، ثم ما كان ذهب عليه منها موجودًا عند غيره"[٢].

استنتج طرابيشي: أن السنة فعل جماعي كما أن اللغة كذلك، مع أن السياق يتحدث عن اتساع اللغة ومماثلة السنة لها في هذا الاتساع وصعوبة ادعاء أحد بإحاطتها، لأن اللغة دومًا من صنع الجماعة التي تنطق بها، أما السنة فهي في الأصل: سنة الرسول فردًا مفردًا، ولكن مع تقرير جماعية السنة بالمماثلة مع جماعية اللغة لا تعود سنة الرسول هي: ما صدر عن الرسول بشخصه وفي زمنه، بل كل ما نسبه الناسبون إليه وما تراكم قاموسه كتراكم قاموس اللغة طردًا مع تباعد الأجيال والأمصار[٣].

---

(١) «الرسالة»، فقرة (١٣٨)، (ص٤٢).

(٢) المصدر السابق، فقرة (١٣٩ و١٤٠)، (ص٤٢-٤٣).

(٣) انظر: طرابيشي، «من إسلام القرآن» (ص٢٥٠).

### ٥) إخفاء الحقائق وتزييف التاريخ:

حيث قرر طرابيشي: أن من قاوم أهل الحديث هم القرآنيون، فـ "**صدرت هذه المقاومة عمن يمكن تسميتهم بـ (القرآنيين)، وإن كان يصعب تحديد هويتهم بعد محق آثارهم، ونقصد بـ (القرآنيين): من اعتبروا الكتاب وحده -دون السنة المستلحقة به- المرجع الوحيد في البيان الإلهي**"[1].

ثم بعد ذلك يكشف لنا عن هويتهم؛ حيث إن الشافعي أشار إليهم، بما أفرده الشافعي تحت عنوان: (باب حكاية قول الطائفة التي ردت الأخبار كلها [أي: الأحاديث]) في كتاب (جماع العلم) من كتاب «الأم»[2]، وذكر طرابيشي -في هامش الكتاب[3]- "**إن المعنيين بهؤلاء (الأصحاب): المعتزلة، ولكن لا يستبعد -أيضًا- أن يكونوا من الخوارج**"، ومن المعلوم أن ظهور فكر الاعتزال كان في أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني، وطرابيشي يقول: إن القرآنيين كانوا في الصدر الأول، وإن الحديثين انقلبوا عليهم فحولوا الإسلام **من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**.

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص١٨٦).

(٢) انظر: المصدر السابق، (ص١٨٧)، وانظر: الشافعي، محمد بن إدريس، كتاب «الأم»، دار المعرفة-بيروت، (١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، (٧ / ٢٨٧).

(٣) «من إسلام القرآن» (ص١٨٧).

وهذا يعني: أن السلطة الحاكمة والسلطة المعرفية كانت بيد القرآنيين ثم انتزعها أهل الحديث منهم، والتاريخ لا يذكر ذلك لا من قريب ولا من بعيد! وطرابيشي اطلع على كلام الشافعي بعد ذلك في (جماع العلم)، فبعد ذكره للصنف الأول: (باب حكاية قول الطائفة التي ردت الأخبار كلها)، ذكر الصنف الثاني: (من رد خبر الخاصة)[1] -أي: الآحاد-، وهم المعتزلة الذين يشددون في مسألة التواتر، فتعمّد طرابيشي إخفاء هذه المعلومة حتى لا تنكشف حيلته، وزيّف التاريخ بقوله أن (أهل القرآن) كانوا في الصدر الأول.

**٦) قلب الحقائق:**

يقول طرابيشي: "**إن (أهل المغازي) الذين يصرح الشافعي بأنه اعتمد نقلهم، ليسوا موضع اعتماد من قبل أهل الحديث، فابن إسحاق والواقدي اللذان كانا ينفردان بتمثيل (أهل المغازي) ليس لهما أي حضور كرواة للحديث في «الصحيحين»، ولا حتى في كتب «السنن والمسانيد» المعتمدة من بعدهما؛ كابن ماجه وأبي داود والدارمي والترمذي والنسائي**"[2].

فقوله عن ابن إسحاق والواقدي: "اللذان كانا ينفردان بتمثيل (أهل المغازي)"،

---

(١) انظر: الشافعي، «الأم» (٧ / ٢٩٢).

(٢) «من إسلام القرآن» (ص٢١٢).

قلب للحقيقة!

فأصحاب المغازي ليس حكرًا على ابن إسحاق والواقدي، فهناك عروة ابن الزبير وابن شهاب الزهري وموسى بن عقبة وسليمان التيمي، وغيرهم من أهل المغازي الثقات.

وربما نقول: أن هذا مبلغ علم الرجل، فانظر إلى الثانية: "**أنهما ليس لهما أي حضور**" كرواة للحديث في «الصحيحين»، ولا حتى في كتب «السنن»؛ كابن ماجه وأبي داود والدارمي والترمذي والنسائي، فابن إسحاق من رجال مسلم وأصحاب «السنن» الأربعة، وروى له البخاري تعليقًا؛ كما بين ابن حجر في «تقريب التهذيب»(١)، وأما الواقدي فروى له ابن ماجه فقط، لكن طرابيشي يغيبها عامدًا متعمدًا!

**٧) الحرفية المفرطة:**

وضع الأستاذ طرابيشي فصلًا بعنوان: (ابن حزم وثنية النص)، منتقدًا ظاهرية ابن حزم رحمه الله، وفي ذات الوقت يمارس حرفية مقيتة في رده على خصومه؛ ولا سيما الإمام الشافعي والإمام ابن حزم؛ فيرد عليهما الاستدلال بالآية الكريمة: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم:٣-٤]، فيقول: "**يتجاهل -مثله مثل الشافعي-**

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي، «تقريب التهذيب»، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد-حلب، الطبعة الأولى، (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، ترجمة رقم (٥٧٢٥).

كون سورة النجم سورة مكية، وكون الآيتين نزلتا قبل أن يكون للحديث ولمفهوم الحديث بالمعنى النبوي وجود"[١].

هكذا قاده جموده لتضييق الآية!

ويمضي في حرفيته قائلًا: "فالآيتان نزلتا في سياق المجادلة مع أهل مكة من مشركين وكتابيين؛ ممن أبوا تصديق بعثة الرسول، تنبيهًا لهم على أن الرسول حين ينطق بالقرآن فليس ينطق عن هوى، بل بما يؤتاه من وحي ربه.

وليس صعبًا أن ندرك أين يعاظل ابن حزم -كما الشافعي- في التأويل: فهو يطلق فعل (النطق) ويفك الارتباط بينه وبين (المنطوق به)، أي: آي القرآن؛ ليصير يعني: أن كل ما هو منطوق به من قِبل الرسول إنما هو: وحي من عند الله[٢].

وفي موضع آخر: يرد على الإمام الشافعي استدلاله بالآية الكريمة: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[النحل:٨٩]، على بيان القرآن الكريم لأحكام النوازل؛ فيقول: "أن مدار الآية -يعني: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٣٧١).

(٢) المصدر السابق، (ص٣٧١).

وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[النحل:٨٩]- **كما هو واضح من مساقها بتمامها، هو: على الحساب يوم الحساب.**

**وهي بذلك تتمم الآية التي تسبقها مباشرة:** ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾[النحل:٨٨].

**فالتبيان الذي تتكلم عليه الآية ليس تبيان كل شيء من أمور الدنيا، بل تبيان كل شيء من أمور الآخرة والمحاسبة يوم الآخرة"[(١)].**

ويقول: "**فهذه السورة كما هو معلوم من الآيات المكيات، وفي الطور المكي لم يكن القرآن قد تضمن بعد أية أحكام بصدد نوازل الدنيا، فمداره كله على الآخرة بنعيمها، وعلى الأخص بجحيمها"[(٢)].**

هكذا أنسته حرفيته أهم آية يحتج بها القرآنيون: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾[النحل:٨٩]! فلا يقبل الاستدلال بها على تبيان الأمور في الدنيا!!

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٢٤٧-٢٤٨).

(٢) المصدر السابق، (ص٢٤٨).

**نموذج من انتقاد الأستاذ طرابيشي للإمام الشافعي:**

ولتأكيد ما سبق سنقوم بدراسة تفكيكية لرد طرابيشي على الشافعي بما يقارب تسع صفحات من صفحة (٢١١) إلى صفحة (٢١٩)، عندما بوّب الإمام الشافعي: (الناسخ والمنسوخ الذي تدلُّ عليه السنة والإجماع)[١]:

○ أراد طرابيشي أن يأسر عقل القارئ في إثبات تناقض الشافعي الذي قال: "لا ينسخ كتاب الله إلا كتابه"[٢]، وأن "السنة لا ناسخة للكتاب، وإنما هي تبع للكتاب"[٣].

فطرابيشي يرى أن الشافعي قام بانزياح من مستوى الاستدلال بالسنة على الكتاب إلى مستوى تحكيم الكتاب بالسنة، وبالتالي نسخه[٤]، فالشافعي سيناقض نفسه فينسخ بعض أحكام الكتاب بالسنة[٥].

وحسبك ردًّا على هذه الفرية: ما عنوَن به الشافعي: (الناسخ والمنسوخ الذي تدل

---

(١) «الرسالة» (ص١٣٧).

(٢) المصدر السابق، (ص١٠٧)، فقرة (٣١٧).

(٣) المصدر السابق، (ص١٠٦)، فقرة (٣١٤).

(٤) انظر: «من إسلام القرآن» (ص٢١٠).

(٥) انظر: المصدر السابق، (ص٢٠٩).

عليه السنة والإجماع)[١]، وقبل ذلك عنوّن: (الناسخ والمنسوخ الذي يدل الكتاب على بعضه، والسنة على بعضه)[٢]، وهذا من بديع تقسيماته ودقيق عبارته رحمه الله، وهو لم يقل: "نسخ الكتاب بالسنة"، وإنما "ما دلت عليه السنة"، لكن ذلك لم يعجب طرابيشي، فيرى أن التطبيق العملي للشافعي خالف نظريته.

والشافعي مثّل لهذا النوع من النسخ بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ [البقرة:١٨٠]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾ [البقرة:٢٤٠].

ثم قال الإمام الشافعي: "فكانت الآيتان محتملتين لأن تُثْبِتا الوصيةَ للوالدَيْن والأقربين، والوصيَّةَ للزوج، والميراثَ مع الوصايا، فيأخذون بالميراث والوصايا.

ومحتملةً بأن تكون المواريث ناسخةً للوَصَايَا"[٣].

فالشافعي يذكر: أن الناسخ آيات الميراث في سورة النساء في الآية (١١ و١٢)، قال

---

(١) «الرسالة» (ص١٣٧).

(٢) المصدر السابق، (ص١١٣).

(٣) المصدر السابق، (ص١٣٨)، فقرة (١٣٨).

ابن كثير: "فلما نزلت آية الفرائض نسخت هذه، وصارت المواريث المقدرة فريضة من الله؛ يأخذها أهلوها حتمًا من غير وصية"[(١)]، وهذا ما يغيبه طرابيشي عن القارئ، ويتهم الشافعي بذلك، فسقطت حجته ابتداءً، أو ربما يجهله؛ لأن معرفته خانته هذه المرة فأقحم نفسه بما لا يعرفه!

وفي كلا الحالتين تبين انسجام الشافعي مع نفسه بقوله: أن السنة لا تنسخ القرآن الكريم، وأن عنوانه الدقيق: (الناسخ والمنسوخ الذي تدل عليه السنة والإجماع)، أي: أن الناسخ هو: القرآن الكريم، لكن لما وقع الاحتمال في الآيتين من الجمع بين الميراث والوصية، أو أن آيات الميراث تنسخ آية الوصية -أي: نسخ القرآن بالقرآن-؛ أراد الشافعي أن يرجح بين الاحتمالين بأمر خارج عن الآيتين -آية الوصية وآية الميراث-؛ فاستدل بما في السنة والإجماع على ذلك.

فهو لم يقل أن السنة هي التي نسخت آية الوصية، وإنما الناسخ آية الميراث، والسنة رجحت هذا الاحتمال، وصاحبنا طرابيشي يغمض عينيه عن ذلك! رغم أن الشافعي أحال على كتابه «أحكام القرآن»؛ فقال: "وفي القرآن ناسخ ومنسوخ غير هذا، مفرق في مواضعه؛ في كتاب «أحكام القرآن»"[(٢)].

---

(١) ابن كثير، إسماعيل بن كثير الدمشقي، «تفسير القرآن العظيم»، دار المعرفة-بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، (١ / ٢١٧).

(٢) «الرسالة» (ص١٤٥)، فقرة (٤١٦).

وهذا نص كلامه رحمه الله: "وزعم بعض أهل العلم بالقرآن: أن الوصية للوالدين والأقربين الوارثين منسوخة، واختلفوا في الأقربين غير الوارثين، فأكثر من لقيت من أهل العلم وممن حفظت عنه، قال: الوصايا منسوخة؛ لأنه إنما أمر بها إذا كانت إنما يورث بها، فلما قسم الله الميراث، كانت تطوعًا"[١].

فالله تعالى من قسّم الميراث في آيات سورة النساء، فالقرآن ينسخ القرآن وليس الناسخ السنة النبوية، غير أن طرابيشي أخفى ذلك عن القارئ، ثم يتهم الشافعي بما اقترفته يداه! وهذا يذكرنا بحيلة نفسية يقوم المصاب بها بإلصاق صفاته السيئة على الآخرين.

وإمعانًا في التغافل أو الجهل بالأحكام الشرعية التي أقحم نفسه بما لا يعرفه؛ يتهم طرابيشي الإمام الشافعي: أنه اصطنع إشكالًا؛ لأنه يفرق بين الميراث والوصية، وكأن الوصية يمكن أن تكون في غير الميراث، ويتساءل -أي: الشافعي-: هل يؤخذ بهما معًا "أن المواريث ناسخة للوصايا"، وهكذا يزج بفكرة (نسخ) الوصية في آيتين لا شأن لهما سوى النص نصًّا صريحًا على الوصية.

وهكذا يحول آيتين محكمتين إلى آيتين متشابهتين[٢]، فمن الذي اصطنع واختلق؟ وما

---

(١) الشافعي، «أحكام القرآن»، جمع الإمام البيهقي، تحقيق عبد الغني عبد الخالق، دار إحياء العلوم-بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، (ص١٦٣).

(٢) انظر: «من إسلام القرآن» (ص٢١١).

ذنب الإمام الشافعي الذي بين أن الناسخ آية المواريث، ولم يخطر بباله أن يأتي طرابيشي بعد أكثر من ألف سنة ولم يفهم أن المواريث التي فصّلها الله في سورة النساء هي الناسخة، وهذه من بدهيات علم الفرائض!!

وهكذا يعود طرابيشي لذات الحيلة النفسية الإسقاطية؛ فيصطنع بطريقة غير علمية، ثم يتهم الشافعي بالاصطناع!

○ أراد طرابيشي: أن يوهم القارئ بضعف احتجاج الإمام الشافعي بما رواه أهل العلم بالمغازي من قريش وغيرهم[١]؛ فقال طرابيشي: "إن (أهل المغازي) الذين يصرح الشافعي بأنه اعتمد نقلهم، ليسوا موضع اعتماد من قبل أهل الحديث، فابن إسحاق والواقدي اللذان كانا ينفردان بتمثيل (أهل المغازي) ليس لهما أي حضور كرواة للحديث في «الصحيحين»، ولا حتى في كتب «السنن والمسانيد» المعتمدة من بعدهما؛ كابن ماجه وأبي داود والدارمي والترمذي والنسائي".

ويقول: "قد لا يكون كافيًا أن نقول: إن (أهل المغازي) ما كانوا موضع اعتماد من قبل أهل الحديث، بل لا بد أن نضيف: أن مترئسيهم: ابن إسحاق والواقدي كانا موضع تشكيك وذم من قبل كثرة منهم"[٢]، ثم ذكر تجريح علماء الحديث فيهما.

---

(١) انظر: «الرسالة» (ص١٣٩)، فقرة (٣٩٨).

(٢) «من إسلام القرآن» (ص٢١٢).

ولنشرع بتتبع ما قاله طرابيشي؛ لنرى هل يحق له انتقاد الشافعي؟

فأول الأمر: قوله عن ابن إسحاق والواقدي: "اللذان كانا ينفردان بتمثيل (أهل المغازي)"، وهذه سقطة معرفية من الناقد التاريخي الفلسفي! فحصر أهل المغازي بهذين الرجلين مراوغة غير علمية، فالشافعي يتحدث عن أهل المغازي من قريش وغيرها، فيدخل في ذلك غير ابن إسحاق والواقدي؛ كأمثال عروة بن الزبير وابن شهاب الزهري وموسى بن عقبة وسليمان التيمي وغيرهم من أهل المغازي الثقات.

فلماذا ينتقي طرابيشي اثنين منهم مما تكلم فيهم أعداؤه من علماء الجرح والتعديل، ويجعلهم حصريًّا: (أهل المغازي)!!

فهذه الأمانة العلمية!! وربما نقول: إن طرابيشي لم يسمع إلا بهذين الرجلين فنتجاوز عن زلته العلمية، ولكنه يقول بعد ذلك **أنهما ليس لهما أي حضور** -كرواة للحديث- في «الصحيحين»، ولا حتى في كتب «السنن»؛ كابن ماجه وأبي داود والدارمي والترمذي والنسائي.

فلو تجاوزنا زلة طرابيشي السابقة؛ فكيف سنتجاوز هذه المغالطة؟!!

فابن إسحاق روى له البخاري تعليقًا، وروى له مسلم وأصحاب «السنن» الأربعة؛ كما بين ابن حجر في «تقريب التهذيب»[1].

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي، «تقريب التهذيب»، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد-حلب، الطبعة =

وأما الواقدي؛ فروى له ابن ماجه فقط، فعلى ذلك؛ هل لنا أن نثق بما يكتبه طرابيشي في حق إمام كالشافعي؟!!

ومن أمانة طرابيشي العلمية: أنه ذكر أقوال المجرحين في ابن إسحاق والواقدي، ولم يذكر من أثنى عليهما؛ ليوهم القارئ بصدق دعواه، وكان يلزمه: أن يذكر خلاصة أقوال علماء الحديث الذين قبلوا رواية ابن إسحاق في المغازي على وجه العموم، وبعضهم ضعفه في غير المغازي، وأما الواقدي فأثنوا على سعة علمه بالمغازي، ولكنهم وصفوه بالمتروك.

و"**أضعف الخلق أركانًا**" -كما يصفهم طرابيشي- أصبحوا أصدق الناس لما طعن طرابيشي بالنبي ﷺ مستشهدًا برواية الواقدي في قصة زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها، وبدلًا من الرجوع إلى المصادر الحديثية المعتمدة في الرواية كـ «الصحيحين» وغيرهما؛ يجد ضالته في روايات منقطعة الأسانيد عند الإمام الطبري، وروايات لا قيمة لها عند ابن سعد من طريق الواقدي؛ الذي اتهمه علماء الحديث ووصفوه بأنه: "متروك الرواية شديد الضعف"؛ فيقول: "**وسيكون عمادنا الأول في استقصاء مدلول هذه الآيات وظروف نزولها -فضلًا عن الطبري-: على ابن سعد؛ الذي أفرد الشطر الأكبر من الجزء الثامن من «طبقاته» لموضوع (نساء**

---

= الأولى، (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، ترجمة رقم (٥٧٢٥).

النبي)"[١].

إذًا؛ عماده الأول: الروايات، وليس النص القرآني الواضح في مدلول الآيات، ولماذا يلجأ لمرويات لا قيمة لها تخدش في مقام النبوة وتعارض النص القرآني؛ الذي كان ينتصر له قبل صفحات بل عنوَن كتابه به؟!!

هكذا هو طرابيشي: يظهر بمظهر الناقد المعرفي واسع الاطلاع، ولكنه يناقض نفسه مناقضة صريحة، ثم يرمي الإمام الشافعي بهذه التهمة!

○ من أمانة الشافعي رحمه الله: أنه بين ضعف الرواية التي احتج بها بسبب جهالة رواتها وانقطاع إسنادها؛ فقال: "ورَوَى بعضُ الشَّامِيِّين حديثًا ليس مما يُثْبِتُه أهل الحديث، فيه: أنَّ بعضَ رِجاله مجهولون، فَرَوَيْناه عن النبي منقطِعًا"[٢]، ثم بين سبب قبوله للرواية: لموافقتها للرواية المتواترة والإجماع؛ فقال: "وإنما قَبِلْنَاه بما وَصَفْتُ من نقْل أهل المغازي وإجماع العامة عليه، وإن كُنَّا قد ذكرنا الحديث فيه، واعتمدنا على حديثِ أهل المغازي عامًّا وإجماع الناس"[٣].

لكن ذلك لم يعجب الأستاذ طرابيشي[٤]؛ الذي لا يطيق الأمانة العلمية.!! فحاول

---

(١) «من إسلام القرآن» (ص٤٣).

(٢) «الرسالة» (ص١٣٩)، فقرة (٤٠٠).

(٣) فقرة (٤٠١).

(٤) انظر: «من إسلام القرآن» (ص٢١٤).

إثبات ضعف موقف الشافعي بمناقشة زمن الحديث (عام الفتح)؛ كما روى الشافعي، وأن الصواب: (خطبة الوداع)، وهذه مماحكة أخرى من طرابيشي، فالشافعي -لأمانته العلمية- قبل طرابيشي أخبر: أن الرواية فيها مجهولين ومنقطعة الإسناد، ولكنه قصد الاحتجاج بالحكم الشرعي الوارد في النص؛ الذي يؤيده الإجماع ونقل العامة عن العامة له؛ ولا سيما موافقته لعمل أهل المدينة؛ كما ذكر مالك: "السُّنَّةُ الثَّابِتَةُ عِنْدَنَا الَّتِي لاَ اخْتِلاَفَ فِيهَا: أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ وَصِيَّةٌ لِوَارِثٍ؛ إِلاَّ أَنْ يُجِيزَ لَهُ ذلِكَ وَرَثَةُ المَيِّتِ، وَأَنَّهُ إِنْ أَجَازَ لَهُ بَعْضُهُمْ وَأَبَى بَعْضٌ؛ جَازَ لَهُ حَقُّ مَنْ أَجَازَ مِنْهُمْ، وَمَنْ أَبَى؛ أَخَذَ حَقَّهُ مِنْ ذلِكَ"[(١)].

فعمل أهل المدينة يؤيد ما ذكره الشافعي عن نقل العامة للحديث لعدم مخالفتهم في ذلك، ثم استنبط مالك جواز ذلك في حال أجاز باقي الورثة، وهذه مسألة تتفرع عن أصل المسألة وهي: منع الوصية للوارث، وهذا موافق لما ذكره الشافعي من موافقة أهل الفتيا على ذلك.

غير أن الأستاذ طرابيشي يماحك مرة أخرى بتقييد مالك للحديث؛ ليدلل على عدم مصداقية الشافعي في نسبة القول لأهل الفتيا!![(٢)].

---

(١) «الموطأ» (٤/ ١١١١)، رقم (٢٨٣٣).

(٢) انظر: طرابيشي، «من إسلام القرآن» (ص٢١٥).

وإمعانًا في فن المماحكة يخلط طرابيشي الأوراق ببعضها؛ فيدخل في جدلية طائفية حول حديث: «**تارك فيكم كتاب الله وعترتي**» أم «**سنتي**»[1]؟ رغم أن الحديث لا علاقة له بموضوع الشافعي!

وأختم بهذا النموذج بكلام الإمام المطلبي -عالم قريش- بعد مناقشته لحديث: «**لا وصية لوارث**» مرسخًا العلاقة التكاملية بين كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ:

"**ويَعْلمون أن اتِّباعَ أمْره طاعةُ الله، وأنَّ سُنَّتَه تَبَعٌ لكتاب الله فيما أنْزَلَ، وأنها لا تخالف كتاب الله أبدًا**".

ومنها نعلم لماذا لجأ الأستاذ طرابيشي لكل هذه الطرق المراوغة بعيدًا عن المنهجية العلمية، فالشافعي يمثل له الخصم الأول؛ الذي استعمل معه كل الأساليب المشروعة وغير المشروعة؛ ليشوه صورته، ويكسر هيبته العلمية.. وهيهات هيهات!

وفي ختام هذه الرحلة مع الأستاذ طرابيشي؛ أضع بعض قواعد نقد الأطروحات الحداثية حول السنة النبوية، مع التأكيد على التزام أخلاقيات الإسلام في مناقشة الخصم بعد التوكل على الله تعالى.

**وعليه؛ يمكن تقسيم هذه القواعد إلى: قواعد منهجية وفكرية:**

---

(١) انظر: طرابيشي، «من إسلام القرآن» (ص٢١٨).

□ **أما المنهجية**؛ فتعني: خطوات نقض هذه الأطروحات بتعريتها عن المنهجية العلمية، نحو:

**١- اكتشاف موارد المؤلف الظاهرة والباطنة:**

فطرابيشي -على طريقة المستشرقين- كان يختار موارده من كتب التراث من كتب السيرة أو كتب الفقه والتفسير -غالبًا-، وليس من كتب رواية الحديث المعتمدة كـ «الصحيحين والسنن» ونحوها.

وهذه الكتب لا تصلح للدراسة العلمية، وهذا ما بينه البرفسور الأعظمي ﷺ في رده على المستشرقين.

**٢- إظهار التناقض في العبارات والمواقف:**

فطرابيشي الذي عنوَن كتابه «**من إسلام القرآن...**» أول ما يخالف القرآن في عدد من الموضوعات، مما يظهره متناقضًا، وهذا التناقض لم يكن اعتباطيًّا بل ليصل لغايته من إنكار عموم الرسالة المحمدية لجميع البشرية.

**٣- اتبع طرابيشي انتقائية واضحة:**

ولا سيما في ذكر الآيات التي حاول أن يقنع نفسه أنها تؤيد رأيه، كما أقصى عددًا من الآيات الدالة على عموم رسالة الإسلام لجميع البشرية.

**٤- بيان تحريف المصطلحات والتلاعب بها**؛ كبعض المصطلحات العلمية كـ

(التدليس)، ومصطلح (السنة)، وغيرها.

**٥- إظهار التحيز وعدم الموضوعية:**

فرأينا كيف كان يحسب المسافات الزمنية بأجزاء من الثانية عند دراسته لروايات الحديث، بينما تتعطل كل الحسابات عندما يدرس كتابًا من القرن الأول الميلادي وترجم في القرن الثالث الهجري!!

**٦- اعتماده على الروايات الضعيفة والموضوعة، وترك الروايات الصحيحة:**

ولا أدل على ذلك من: تبنيه لرواية الواقدي في قصة زواج النبي ﷺ من أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها.

**٧- طعنه بالمحدثين بدراسة بعض الأحاديث التي ضعفها المحدثون**؛ ليوهم القارئ بضعف منهج المحدثين النقدي؛ نحو ذكره لحديث (الغرانيق).

**٨- توضيح الضعف العلمي في العلوم الشرعية:**

فطرابيشي على الرغم من سعة اطلاعه على كتب التراث لكنه وقع بمطبات تدل على ضعفه في فهم العلوم الشرعية.

**٩- على ناقد الحداثيين عدم الاستغراق في رده بالأمثلة الجزئية**، وإنما يحاول نقض الفكرة الأساسية للكتاب دون الخوض في التفاصيل؛ فتضيع الحقيقة بين ركام التفاصيل.

□ **أما القواعد الفكرية فتعني:** تعرية الفكر الحداثي عن المبادئ التي يرفعها، ولكنهم في كتاباتهم يتغافلون عنها.

**١) طعنهم في السنة مع الاعتماد على المرويات:**

فتراه يبني فكرة كاملة من خلال جمع الأحاديث في موضوع ما؛ كأحاديث بشرية النبي ﷺ، رغم قوله أنها مكذوبة!

**٢) الرد عليهم بألفاظهم ومصطلحاتهم:**

فالقوم لهم مصطلحات خاصة؛ على الباحث أن يتعرف عليها ويستعملها في الرد عليهم، وهذا أقوى في إفحامهم.

**٣) الكشف عن الجذور الاستشراقية للحداثيين:**

فغالبًا ما يستقي الحداثوي موضوعاته واطروحاته من نبع الاستشراق، وأحيانًا بطريقة خفية؛ لكي لا يكتشف أمره.

**٤) الحداثي يحاول أن يظهر بمظهر الإبداع والتجديد،** ولكن عند التنقيب في فكره؛ تجده غارقًا في التبعية والتقليد واجترار أفكار من سبقه، وربما غيّر من أسلوبه وتلاعب بالألفاظ؛ لكنه لا يبدع!

**٥) إظهار عدم العقلانية فيما يقدمون:**

فهم يظهرون تمجيد العقل، ولكن لهم سقطات تدل على نفي صفة العقلانية عنهم.

**٦) استثمار معارك الحداثيين مع بعضهم بطريقة علمية**، وتوظيف ذلك في الرد عليهم.

**٧) الكشف عن الجانب الطائفي والمذهبي لبعض كتاب الحداثة**؛ الذين يتسترون بالحداثة نصرة لطائفيتهم.

**٨) يحاول الحداثي باسم الحداثة: أن يمارس فوضى تأويلية للنصوص الشرعية**، مخالفًا الإجماع والثوابت، كاسرًا كل حواجز اللغة والعلمية.

فعلى الباحث سد هذا الباب في وجوههم.

**٩) يستعمل عدد من الحداثيين -تبعًا للمستشرقين- الأسلوب الروائي والقصصي للطعن في السنة.**

وهذا الأسلوب لا يمت بصلة للعلم، وكشفه ينقض فكر الحداثة.

**١٠) إستراتيجية (خلط الأوراق) ورقة رابحة بيد بعض الحداثيين:**

فتراه يخلط السياسي بالفقهي والتاريخي والطائفي، فتفكيك هذه الخلطة الحداثية يظهر زيف ادعاءات صاحبها.

**١١) رغم ادعاء بعض الحداثيين لنسبية الحقيقة، وعدم إصدار الأحكام القطعية**، تراهم يمارسون ذلك وكأنما امتلكوا الحقيقة المطلقة!

**١٢) إظهار مخالفة الحداثي لمبادئ الحداثة؛ كالحرية والديمقراطية وقبول الآخر.**

فبعضهم يمارس إرهابًا فكريًّا على خصومه، ويضيق الخناق عليه باسم الحداثة.

**١٣) تقمص شخصية الحداثي عند الرد عليه**، وقراءة ما يكتب قراءات متعددة؛ لاكتشاف مآربه.

فبفضل من الله ﷻ استطعت أن أحلل شخصية طرابيشي النفسية من خلال ما تعلمته على يديه من التحليل النفسي.

**١٤) القراءة من الحداثي:**

بمعنى: أن نسبر أغوار الفكر الحداثي من كتب أهل الحداثة مباشرة، وليس مما نسمعه عنهم.

**١٥) كسر حاجز الخوف من الهالة الإعلامية التي تمجد الحداثيين،** وتظهرهم بمظهر الإبداع والتجديد.

ويكون ذلك بقراءة ما يكتبون في الصحف والمواقع والكتب، فمتى انكسر هذا الحاجز بعون الله ﷻ ؛ ستتكشف لك الخبايا، وتعرف قيمة القوم الحقيقية.

فهذه قواعد تعين -بإذن الله ﷻ- على نقض الحداثة العربية، وأول ما ينقضها: غربتها الفكرية عن تاريخ الأمة وتراثها وواقعها ووجدانها، وقبل ذلك عن كتاب ربها

وسنة نبيها ﷺ، وينقضها: أنها لم تنبت في أرض الأمة، بل نبتت مهجنة، وهذا سر إخفاقها -بفضل من الله تبارك وتعالى-، وهو كذلك سر نجاح حداثة الغرب؛ التي خرجت من أعماق وجدان الأوروبيين، ومن معاناتهم من قيد التحريف وظلم القائمين عليه.

**ولعل ما يكون أخطر من الحداثة العربية**: أن يغلفها البعض -بجهل أو بقصد- بغلاف الشرع، ويزينها ببعض من النصوص الشرعية، أو باجتزاء موقف عبر التاريخ ليدلل على صوابها.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



## هذا الكتاب

كتاب «**من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**» وإن كان وليدًا لمشروع (نقد النقد) للراحل الجابري؛ إلا أنه في ذات الوقت يمثل: عملًا تظهر الرؤيا النهائية لفكر الأستاذ جورج طرابيشي، هذا الفكر الذي استبطنه طرابيشي في مشروع (نقد النقد) خرج بصورته النهائية في كتاب «من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث»، وهو المشروع الأكبر لطرابيشي، وما مشروع (نقد النقد) إلا مرحلة من مراحله، وهذا المشروع الأكبر ألبسه طرابيشي زي الحداثة؛ ليخفي أصوليته التي أرتد عنها في أول محطات حياته!

يقول الأستاذ طرابيشي: "**والواقع أن كتب الحديث -وليس في القرآن- تم تحويل النبي الأمي المرسل إلى قومه إلى نبي أممي مرسل إلى الأمم قاطبة**"، وهذا النص يظهر غائية طرابيشي من تأليف الكتاب: **نفي عموم رسالة النبي ﷺ للإنسانية جميعًا**، فيضع فاصلًا كاملًا بعنوان: (**من النبي الأمي إلى النبي الأممي**)، وهي قضية مفصلية لاهوتية، لم يستطع المفكر الحداثي الليبرالي أن يغادر الحياة دون أن ينبشها من أعماق ذاته التي انقلب عليها يومًا ما في أول شبابه، وكانت بداية هرطقاته وانقلاباته أو قل: انقلاباته وهرطقاته، فارتد عن دينه ضمن الحلقة الأولى من مسلسل الانقلابات الطرابيشية.

لكن الحلقة الأخيرة من هذا المسلسل مثلت مشهد الانقلاب الأكبر والأخير، من **الهرطقة إلى الأصولية!!!** إنه انقلاب بأثر رجعي، نسخ جميع الانقلابات السابقة ليظهر لنا طرابيشي في نسخته الأخيرة والمعدّلة والمنقحة: طرابيشي الناسخ والمنسوخ في آن واحد، فما نسخه في أول حركة انقلابية شبابية؛ يعود إليه مرتدًا عن حداثته، ليرتد إلى أصوليته في شيخوخته.

**فالهرطوقي في هذا الكتاب يهرطق فيما سبق أن هرطقه ليخرج لنا كتاب «من إسلام القرآن إلى إسلام الحداثة»!!**


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com










للطباعة والنشر والتوزيع



Telfax: +962 6 5658045
Mob. : +962 79 5943456
P.O.Box: 925595 Amman - Joordan
E-mail: alatharya1423@yahoo.com